المختصر في علوم القرآن الكريم

يتضمن أهم المعارف التي يحتاج إليها المسلم عن القرآن وتاريخ المصحف

تأليف

أ.د. غانم قدوري الحمد

دار أطلس الخضراء للنشر والتوزيع

مخفض السعر

المختصر
في
علوم القرآن الكريم

ⓒ دار أطلس الخضراء ، ١٤٤٣هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الحمد ، غانم قدوري

المختصر في علوم القرآن الكريم. / غانم قدوري الحمد - ط١. .- الرياض ، ١٤٤٣هـ

١٤٤ ص ؛ ١٧*٢٤ سم

ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٨٣٥٦-٢٢-٧

١- علوم القرآن أ.العنوان

ديوي ٢٢٠ ١٤٤٣/٨٠٠٧

9 786038 356227

حُقُوق الطَّبْع مَحْفُوظَة

الطبعة الأولى

١٤٤٣ هـ - ٢٠٢٢ م

دار أطلس الخضراء

للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية - الرياض

جوال : ٠٠٩٦٦٥٤٤٨٩٦٦٥٤

twitter: @ dar-atlas

dar-atlas@hotmail.com

للاستفسارات والمقترحات حول الكتاب

الصورة التي في الغلاف لمصحف عثماني محفوظة بمكتبة أحمد الثالث برقم: (١)

المختصر

في

علوم القرآن الكريم

يتضمن أهم المعارف التي يحتاج إليها المسلم عن القرآن وتاريخ المصحف

تأليف

أ.د. غانم قدوري الحمد

بسم الله الرحمن الرحيم

للاستماع للكتاب صوتياً
تفضل بمسح رمز QR code

امسح رمز QR code
لتختبر معلوماتك في علوم القرآن بعد قراءتك للكتاب

مُقَدِّمَةٌ

الحمدُ للهِ رَبِّ العالمين، والصلاةُ والسلامُ على سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، وعلى آلِهِ وصحابتِهِ أجمعين، والتابعينَ لهم بإحسانٍ إلى يوم الدين، أما بَعْدُ:

فإن القرآن الكريم من أكثر الكتب ٱنتشاراً وتداولاً بأيدي المسلمين، ويعكس ذلك مكانته في نفوسهم، وعنايتهم به، وتقدسيهم له، لكونه كلام رب العالمين، أنزله هُدًى للناس وبينات من الهدىٰ والفرقان، وهم يحرصون علىٰ تلاوته، والوقوف علىٰ تفسيره وتدبر آياته، وقليل منهم من يعرف تاريخ نزوله، وكيفية بدئه، وكتابته وجمعه، ورحلته عبر العصور حتىٰ وصل إلينا، ومعرفة هذه الأمور مهمة لتعزيز مكانة القرآن الكريم في قلوبهم، وإدراك رسالته السامية في عقولهم.

وأكثر الكتب المؤلفة في علوم القرآن لا تسعف حاجة القارئ غير المتخصص في الوقوف علىٰ ذلك بسهولة، لكونها بين مُطَوَّلٍ أو موضوع لأغراض أكاديمية وفق مناهج محددة، قد يصعب علىٰ غير المتخصصين الإفادة منها، ومن هنا تبرز الحاجة إلىٰ كتاب مختصر في علوم القرآن، سهل العبارة، يتناول أهم موضوعات علوم القرآن، ويلبي حاجة جمهور القراء من غير المتخصصين بالعلوم الشرعية أو علوم القرآن، وهم أكبر شريحة في مجتمعاتنا، وقد شَغَلَتْ معظمَ أوقاتهم همومُ الحياة ومتطلباتُ العيش، وقد يستفيد من الكتاب أيضًا المبتدئون بدراسة العلوم الشرعية.

ونأمل أن يسد كتابنا هذا (المختصر في علوم القرآن الكريم) تلك الحاجة ، وأن يسد ذلك الفراغ، وأن يجد فيه كل قارئ يرغب في التعرف على القرآن الكريم وتاريخ المصحف ما يلبي رغبته، ويفتح له آفاق القراءة في المصادر الأخرى الأكثر تفصيلاً، إن هو رغب في ذلك.

والله تعالى ولي التوفيق.

١/ ٥/ ٢٠١٩م

٢٨/ ١٢/ ١٤٤١هـ

د.غانم قدوري الحمد

الفصل الأول

مدخل إلىٰ علوم القرآن

يتضمن هٰذا الفصل مبحثين:

المبحث الأول: في تعريف القرآن، وأسمائه وصفاتِه، والفرقِ بينَه وبين الحديث القدسي.

المبحث الثاني: التعريف بعلوم القرآن، وموضوعها، ومراحل تدوين علوم القرآن، وأَهَمِّ المصنفات فيها.

المبحث الأول
تعريف القرآن وأسماؤه وصفاته

(١) تعريف القرآن:

القرآنُ لغةً: مصدرُ الفعل (قَرَأَ)، بمعنىٰ: تلا، مثلُ القراءة، أو هو مصدرُ (قَرَأَ)، بمعنىٰ: جَمَعَ، وقيلَ: هو اسمٌ لكلام الله تعالىٰ غير مشتق. والأول أشهر[١].

والقرآنُ اصطلاحًا: هو كلامُ الله تعالى المُعْجِزُ، المُنَزَّلُ على النبي محمد ﷺ، المكتوبُ في المصاحف، المنقول بالتواترُ، المُتَعَبَّدُ بتلاوتهِ[٢].

(٢) أسماء القرآن الكريم وصفاته:

سَمَّى الله تعالىٰ كلامه الذي أنزله علىٰ رسوله ﷺ بأسماءٍ يُعْرَفُ بها، ووَصَفَهُ بصفاتٍ تَكْشِفُ عن خصائصه، قال الطبري: «سَمَّاهُ اللهُ بأربعة أسماء، هي: القرآن، والكتاب، والفرقان، والذكر»[٣].

ولكلِّ اسمٍ من هٰذه الأسماء معنًى يدلُّ عليه، ويكشِفُ عن جانب من حقيقته:

- **فالقرآن**: مَصدرٌ بمعنى المقروء، سُمِّيَ به لأنه من شأنه أن يُقْرَأَ ويُتْلَىٰ.
- **والكِتابُ**: مصدر الفعل (كَتَبَ)، بمعنى المكتوب.
- **والفُرقان**: مصدر الفعل (فَرَقَ)، سُمِّيَ به لأن الله فَرَّقَ فيه بين الحق والباطل.
- **والذِّكْرُ**: مصدر الفعل (ذَكَرَ)، ويَحْتَمِلُ معنيين: الأول: أنه ذِكْرٌ من الله عز وجل، ذَكَّرَ به عباده، والثاني: أنه ذِكْرٌ وشَرَفٌ وفَخْرٌ لمن آمن به[٤].

---

(١) ينظر: لسان العرب لابن منظور (١/ ١٢٨-١٢٩).

(٢) ينظر: إرشاد الفحول للشوكاني (١/ ٨٥)، ومباحث في علوم القرآن لصبحي الصالح (٢١)، ودراسات في علوم القرآن الكريم لفهد بن عبد الرحمٰن الرومي (٢٣).

(٣) تفسير الطبري (جامع البيان) (١/ ٩٤)، وينظر: تفسير ابن عطية (المحرر الوجيز) (١/ ٥٦)، وجمال القراء لعلم الدين السخاوي (٧٢)، والبرهان في علوم القرآن للزركشي (١/ ٢٧٣).

(٤) ينظر: تفسير الطبري (١/ ٩٤- ٩٩)، والهداية لمكي (١٢/ ٨٥١٧-٨٥١٩)، والإتقان للسيوطي

وقد وَصَفَ الله تعالى القرآن بأوصاف أخرىٰ كثيرة، أوصلها بعض المؤلفين إلىٰ أكثر من تسعين وصفاً[١]، وهي أوصاف وردت في عدد من آيات القرآن الكريم.

ويجب التفريق بين ما جاء من تلك الألفاظ علىٰ أنه اسمٌ للقرآن، وما ورد منها علىٰ أنه وصفٌ له[٢]، فإنَّ معظمَ ما ذَكَرَهُ هؤلاء العلماء من ألفاظٍ ورد في القرآن في سياق الوصف، مثل: نور، وشفاء، وموعظة، وهدىٰ، ومبارك، وبصائر، وبشرىٰ. فهٰذه الألفاظ وما أشبهها أوصافٌ وَصَفَ الله بها القرآن، وليست بأسماء، مثل: القرآن، والكتاب، والفرقان، والذكر.

وكثرة أسماء القرآن وكثرة أَوْصَافِهِ تدلُّ علىٰ شرف المُسَمَّىٰ وكماله وفضيلته[٣]، فكلُّ اسم من تلك الأسماء، وكُلُّ وَصْفٍ وُصِفَ به، يكشف عن جانب من طبيعة القرآن وهدايته، فانظر إلىٰ وصفه بأنه: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ في أول سورة البقرة، فقد تكرَّر ذكرُ هٰذه الصفة وبيانها في آيات كثيرة، فقال تعالىٰ: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ﴾ [البقرة:١٨٥]، وقال تعالىٰ في المائدة: ﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُۥ سُبُلَ السَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَٰتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[١٦]، وقال في سورة الإسراء: ﴿إِنَّ هَٰذَا الْقُرْءَانَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾[٩].

(٣) الفرق بين القرآن والحديث القدسي:

الحديثُ القُدْسِيُّ: ما أَسْنَدَهُ النبيُّ ﷺ إلى الله تعالىٰ، أو: هو ما حَكَاهُ عنه سبحانه. والقُدْسِيُّ نِسْبَةٌ إلى القُدْسِ، والقُدْسُ: الطهارةُ، وتنزيهُ اللهِ عز وجل[٤]. فهو حديثٌ نبويٌّ من جهةٍ، وهو كلامٌ يرويه الرسول ﷺ عن الله تعالىٰ من جهةٍ أخرىٰ.

(٢/ ٣٣٩-٣٤٢).

(١) ينظر: البرهان للزركشي (١/ ٢٧٣-٢٧٦)، وبصائر ذوي التمييز للفيروزآبادي (١/ ٨٨-٩٦)، والإتقان للسيوطي (٢/ ٣٣٦-٣٣٩).

(٢) ينظر: مناهل العرفان للزرقاني (١/ ١٧).

(٣) ينظر: بصائر ذوي التمييز للفيروزآبادي (١/ ٨٨).

(٤) ينظر: لسان العرب (٦/ ١٦٨).

ولم يشتهر مصطلح (الحديث القدسي) في القرون الأولىٰ، ولم يَرِد في كتب الحديث الأولىٰ بهٰذا الاسم، وكان يُعَبَّرُ عنه بعبارة: (ما يَرْوِيهِ، أو: يَحْكِيهِ عن ربِّه).

وقد بوَّبَ البخاري في كتابه «خلق أفعال العباد» بقوله: «باب ما كان النبي يذكره ويرويه عن ربِّه عز وجل»، وذَكَرَ فيه ستةَ أحاديث، أولها: عن أبي هريرة ﷺ، عن النبي ﷺ في ما يحكيه عن ربِّه، قال: «**مَنْ تَقَرَّبَ إليَّ شبراً تَقَرَّبْتُ منه ذراعًا، ومَن تَقَرَّبَ إلي ذراعًا تَقَرَّبْتُ إليه باعًا**»[١]، وبوَّبَ في الصحيح بقوله: «باب ذكر النبي ﷺ وروايته عن ربه»، وذَكَرَ فيه ثلاثة أحاديث، أولها الحديث المتقدم[٢].وشاع استعمال مصطلح (الحديث القدسي)[٣] عند المتأخرين والمعاصرين.

والفرق بين القرآن والحديث القدسي أن القرآن وَحْيٌ من الله تعالىٰ بلفظه ومعناه، والحديث القدسي ليس كذٰلك، فمضمونه وحي من الله وصياغته للنبيﷺ، والقرآن يُتَعَبَّدُ بتلاوته، ويُقْرَأُ في الصلاة، والأحاديث النبوية الأخرى المتعلقة بالتشريع مثل الأحاديث القدسية، لٰكن النبي ﷺلم ينسبها إلى الله تعالىٰ تصريحًا، كما نَسَبَ الأحاديث القدسية، تأكيداً علىٰ خصوصية معناها[٤].

(١) خلق أفعال العباد (٩٤).

(٢) صحيح البخاري (٩/ ١٥٦-١٥٧، رقم: ٧٥٣٦).

(٣) ذكره ابن حجر العسقلاني في فتح الباري مرة واحدة (١٣/ ٤٩٠)، بحسب البحث الآلي فيه.

(٤) ينظر: ابن حجر الهيتمي: الفتح المبين بشرح الأربعين (٤٣٢)، وينظر: الكليات للكفوي (٧٢٢)، ودراسات في علوم القرآن الكريم للرومي (٢٥-٢٦).

المبحث الثاني
تعريف بعلوم القرآن، وأشهر المؤلفات فيه

المطلب الأول: تعريف «علوم القرآن» وموضوعه:

«علوم القرآن»: عنوان لمادة علمية، كُتِبَتْ فيها مؤلفات كثيرة، ومن المفيد الوقوف عند تعريف هذا المصطلح، لأنَّ التعريفَ يكشفُ عادةً عن موضوع العلم وحدوده.

يتركب هذا المصطلح من كلمتين:

الكلمة الأولى: كلمة (علوم)، وهي جمع عِلْمٍ، وهو مصدر الفعل (عَلِمَ)، ومعناه: إدراك الشيء على ما هو به[١].

واصطلاحًا: هو مجموعة مسائل في موضوعٍ معين[٢].

والكلمة الثانية: كلمة (القرآن)، والقرآن كلام الله تعالى، وتقدَّم الحديث عن اشتقاق الكلمة ودلالتها.

وقد أُضِيفَتْ كلمة (القرآن) إلى كلمة (علوم)، ثم نُقِلَتْ من المعنى الإضافي لتكون عَلَمًا على الفن المُدَوَّنِ، وتختص به[٣].

و«**علوم القرآن**» **بالمعنى الاصطلاحي**: مجموعة مباحث تتعلَّق بالقرآن الكريم، تتحدَّث عن تنزيل القرآن الكريم، وتدوينه، وقراءته، وبيان معانيه، وما يرتبط بهذه الموضوعات من مسائل[٤].

---

(١) ينظر: التعريفات للجرجاني (١٥٥)، والكليات للكفوي (٦١٠).

(٢) ينظر: المعجم الوسيط (٢/ ٦٢٤)، ومعجم اللغة العربية المعاصرة (٢/ ١٥٤٣).

(٣) ينظر: مناهل العرفان للزرقاني (١/ ٢٧).

(٤) ينظر: مناهل العرفان للزرقاني (١/ ٢٧)، ودراسات في علوم القرآن الكريم للرومي (٣٢)، والمحرر في علوم القرآن لمساعد بن سليمان الطيار (٢٣).

وإنما سُمِّيَ هٰذا العلم: «علوم القرآن» - بالجمع دون الإفراد - للإشارة إلىٰ أنه خلاصة علومٍ متنوعةٍ تتعلَّق بالقرآن الكريم[١]، فالمباحث المتعلِّقة بالقرآن الكريم بدأت بمؤلفات تختصُّ بموضوعاتٍ معيَّنةٍ، ثم جُمِعَتْ خلاصةُ تلك المؤلفات في كتبٍ جامعةٍ أُطْلِقَ عليها «علوم القرآن»، وهو ما سيأتي الكلام عنه في المطلب الثاني.

وموضوع «علوم القرآن»: **هو المباحث التي تتحدث عن القرآن الكريم**، مثل: نزول القرآن، وتدوينه، ورسمه، وقراءاته، وتفسيره، وإعجازه.

وليس موضوعُها المباحثَ المستنبطةَ من القرآن، مثل: الفقه، والعقائد، وعلوم اللغة العربية[٢].

المطلب الثاني: مراحل تدوين علوم القرآن:

كان المصحفُ الشريفُ أولَ كتابٍ عرفَتْه المكتبةُ العربية، ثم ظهرت العلومُ المختلفةُ المدونةُ بالعربية، للحاجة إلىٰ تعليم الناس القرآن، والتفقُّه في الدين، وبازدياد المعارف تنوَّعت العلومُ وتوسَّعت، وظهرت المؤلفات وكثُرت.

ويمكن ملاحظة ثلاث مراحل لنشأة علوم القرآن والتدوين فيها علىٰ وجه التقريب، وهي:

المرحلة الأولىٰ: المعارف الشفوية المتعلِّقة بالقرآن الكريم

وقد انتشرت هٰذه المعارف خلال القرن الهجري الأول، قبل بدء عصر تدوين العلوم الإسلامية، وترتبط بنزول القرآن الكريم علىٰ رسول الله ﷺ وتعليمه لأصحابه، ثم قراءته، وكتابته، وتدبُّر معانيه.

وٱخْتَزَنَتْ عقولُ الصحابة تلك المعارف، وأخذها عنهم التابعون، لتبدأ مرحلةُ تدوين تلك المعارف المتعلِّقة بالقرآن الكريم في عصر تابعي التابعين، بشكلٍ

(١) ينظر: مناهل العرفان للزرقاني (١/ ٢٧).
(٢) ينظر: مناهل العرفان للزرقاني (١/ ٢٧).

يتناسب والنشأةَ الأولىٰ لكلِّ علمٍ من علوم القرآن، ثم تطوَّر التأليفُ فيها نَوْعـًا وكَمّـًا في القرون اللاحقة.

المرحلة الثانية: تدوين المؤلفات الخاصَّة بكلِّ علمٍ من علوم القرآن

وتبدأ هٰذه المرحلة مع بداية القرن الثاني الهجري، حين ظهرت بواكير التأليف في علوم القرآن، مثل:

- تفسير عبد الله بن عباس، الذي رواه عنه تلميذه مجاهد بن جبر (ت ١٠٢هـ).
- وكتابَيْ عبد الله بن عامر الدمشقي (ت ١١٨هـ) في اختلاف المصاحف، ومقطوع القرآن وموصوله[١].

وذكر ابن النديم في الفن الثالث من المقالة الأولىٰ من كتاب «الفهرست»، الخاصة بعلوم القرآن الكريم، أكثر من (٢٥٠) كتابـًا، تشتمل موضوعاتُها نحوَ عشرين علمـًا من علوم القرآن، مثل: التفسير، ومعاني القرآن، وغريبه، وإعرابه، والقراءات، وهجاء المصاحف (أي: رسمها)، والنَّقْط والشَّكْل، والعدد، وأجزاء القرآن، والناسخ والمنسوخ، وفضائل القرآن، وأحكام القرآن، وإعجازه[٢].

ويبدو أن التأليف في علوم القرآن قد انتشر واشتهر بعد ذٰلك، فنجد أنَّ ابنَ خير الإشبيلي (ت ٥٧٥هـ) قد ذكر في فهرسة ما رواه عن شيوخه من الدواوين المؤلَّفة في شتى العلوم، في الباب الأول من الكتاب الخاص بعلوم القرآن، أكثرَ من مئة وثلاثين كتابـًا في عشرين موضوعـًا أو علمـًا[٣].

المرحلة الثالثة: مرحلة تدوين الكتب الجامعة في علوم القرآن

من المؤلفات المبكِّرة، التي حملت في طيَّاتها بداياتِ التأليف الجامع لعلوم القرآن الكريم:

---

(١) ينظر: الفهرست (٣٦)، و(٣٩).

(٢) ينظر: الفهرست (٣٦-٤٢).

(٣) ينظر: فهرسة ابن خير (٢٣- ٦٧).

- كتاب «فضائل القرآن»، لأبي عبيد القاسم بن سلَّام (ت ٢٢٤هـ).

- وكتاب «فهم القرآن ومعانيه»، للحارث المحاسِبي (ت ٢٤٣هـ).

- وكتاب «التنبيه على فضل علوم القرآن»، للحسن بن محمد بن الحسن بن حبيب النيسابوري (ت ٤٠٦هـ).

فقد تضمنت هٰذه الكتب مباحثَ في علوم القرآن، صارت فيما بعد علومًا مستقلةً ضمن الكتب الجامعة[١].

لٰكن البداية الواضحة لكتب علوم القرآن الكريم الجامعة، التي تضمُّ خلاصةَ علوم متعدِّدةٍ بعد أنْ كان كلُّ كتابٍ يختصُّ بعلمٍ من العلوم،جاءت بعد القرن الخامس.

ولا يعني ظهور المؤلفات الجامعة نهايةَ مرحلة التأليف الخاصِّ التي تقدمت الإشارةُ إليها، فقد سار التأليف في النوعين جنبًا إلىٰ جنبٍ إلىٰ زماننا الحاضر، وأنتج ذٰلك مئات المؤلَّفات، لا يتَّسعُ المقامُ لتتبُّعها وذِكرها، لٰكن سوف نذكرُ أهمَّ المؤلفات الجامعة في علوم القرآن في الفقرة الآتية.

المطلب الثالث: أهم المصنَّفات في علوم القرآن:

ظهرت المؤلفات الجامعة في «علوم القرآن» - بالمعنى العام لهٰذا المصطلح- في القرنَين السادس والسابع الهجريين، وكانت تتَّسِمُ بالإيجاز، وقلَّة الأنواع، لٰكنها أَسَّسَتْ لظهور المؤلفات المفصَّلة. ومن أشهر تلك المؤلفات:

١. **فنون الأفنان في عيون علوم القرآن**، لابن الجوزي (ت٥٩٧هـ)[٢].

٢. **جمال القُرَّاء وكمال الإقراء**، لعلَم الدين السَّخاوي (ت٦٤٣هـ)[٣].

(١) ينظر: المحرر في علوم القرآن لمساعد الطيار (٤٢).

(٢) له أكثر من طبعة، منها: تحقيق د. حسن ضياء الدين عتر، دار البشائر الإسلامية، بيروت ١٤٠٨هـ = ١٩٨٧م.

(٣) له أكثر من طبعة، منها: تحقيق د. مروان العطية، ود. محسن خرابة، دار المأمون للتراث، دمشق بيروت ١٤١٨هـ = ١٩٩٧م.

٣. **المرشد الوجيز إلى علوم تتعلَّق بالكتاب العزيز**، لأبي شامة (ت٦٦٥هـ) [١].

وقد أَسَّسَتْ هٰذه الكتب الثلاثة لاتجاه جديد في التأليف في علوم القرآن، وهو الاتجاه الموسوعي الجامع، وقد يؤخذ عليها عدمُ ذكرها لجميع أنواع علوم القرآن، وعدمُ عرض تلك الأنواع وفق منهج محدَّد، لكنها في الواقع ذكرتْ أهمَّ علوم القرآن، وما زاده اللاحقون مشتقٌّ من العلوم التي ذُكِرَتْ في الكتب المذكورة، أما المنهج فقد استَكمَل المؤلفون اللاحقون صياغَتَه.

وتطَوَّرَ التأليفُ في علوم القرآن في القرن الثامن الهجري والقرون اللاحقة، بعد ظهور الكتب الثلاثة المذكورة، وظهرت المؤلفات الموسوعية الجامعة، وأهم تلك المؤلفات أربعة، هي:

١. **البرهان في علوم القرآن**، للزركشي (ت ٧٩٤هـ)[٢].ذكر فيه سبعة وأربعين نوعًا – أو علمًا – من علوم القرآن[٣].

٢. **مواقع العلوم في مواقع النجوم**، لجلال الدين البُلْقِينِيِّ (ت ٨٢٤هـ)[٤]. ذكرَ فيه أكثر من خمسين نوعًا[٥].

٣. **الإتقان في علوم القرآن**، لجلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)[٦]. ذكرَ فيه ثمانين نوعًا[٧].

---

(١) له أكثر من طبعة، أولها: تحقيق د. طيار آلتي قولاج، دار صادر، بيروت ١٣٩٥هـ = ١٩٧٥م.

(٢) الطبعة الأولى: تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية (عيسى البابي الحلبي)، القاهرة ١٣٧٦هـ = ١٩٥٧م.

(٣) ينظر: البرهان (١/ ٩-١٢).

(٤) الطبعة الأولى: تحقيق د. أنور محمود المرسي خطاب، دار الصحابة للتراث، طنطا ٢٠٠٧م.

(٥) ينظر: مواقع العلوم (٢٩).

(٦) له أكثر من طبعة، أفضلها تحقيق مركز الدراسات القرآنية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة ١٤٢٦هـ.

(٧) ينظر: الإتقان (١/ ١٥-١٧).

٤. **الزيادة والإحسان في علوم القرآن**، لابن عَقِيلَةَ المكي (ت ١١٥٠هـ)[١]. وهو أوسع كتب علوم القرآن، وأكثرها أنواعاً، فقد ذكرَ فيه مئةً وأربعة وخمسين نوعاً[٢].

ولم تتوقَّف حركةُ التأليف في علوم القرآن في العصر الحديث، وبدأت متأثِّرةً بما كتبه السيوطي في «الإتقان»، كما فعل الشيخ طاهر الجزائري (ت ١٣٣٨هـ = ١٩٢٠م) في كتابه «التبيان لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن، على طريق الإتقان»[٣]، وقد جعله في فصول بلغت اثني عشر فصلاً، واشتقَّ منها مباحثَ متعدِّدة، مستفيداً مما ذكره السيوطي في «الإتقان».

وكتب الشيخ محمد عبد العظيم الزُّرقاني (ت ١٣٦٧هـ = ١٩٤٨م) كتابَه «مناهل العرفان في علوم القرآن»، ذكر فيه أهمَّ أنواع علوم القرآن، وحَرَصَ فيه على أنْ يكون على النَّسَقِ الأزهري الجديد في تفكيره وتعبيره، كما قال في تقديمه، مع العناية بذكر الشبهات التي أطلقها بعض المعاصرين حول القرآن والرَّدّ عليها.

ونَشطَتْ حركةُ التأليف في علوم القرآن في النصف الثاني من القرن العشرين، ولا تزال مستمرةً، وأخذَت مساراتٍ متعدِّدة، وأغلبها مؤلَّفٌ من أساتذة جامعيين مختصِّين، لكن التقييدات التي تَفْرِضُهَا البرامجُ الجامعيةُ حالت أحياناً دون التفصيل في مناقشة مسائل علوم القرآن التي تحتاج إلى التفصيل، وهي مع ذلك قد أدَّت وظيفتَها المنوطةَ بها[٤].

(١) تحقيق مجموعة من الباحثين، جامعة الشارقة ١٤٢٧هـ = ٢٠٠٦م.

(٢) ينظر: الزيادة والإحسان (١/ ٩١-٩٩).

(٣) الطبعة الأولى: مطبعة المنار بمصر ١٣٣٤هـ.

(٤) ينظر: دراسات في علوم القرآن الكريم للرومي (٤٩).

الفصل الثاني

فضائل القرآن، وآداب تلاوته

يتضمن هٰذا الفصل مبحثين:

المبحث الأول: بيان فضل القرآن وتلاوته وتعلمه وتعليمه، وبيان فضائل بعض سوره وآياته، وأهم المصنَّفات في فضائل القرآن الكريم.

المبحث الثاني: آداب تلاوة القرآن الكريم.

المبحث الأول
فضائل القرآن الكريم

الفَضْلُ والفضيلةُ: ضِدُّ النَّقْصِ والنَّقِيصَةِ، **والفضيلةُ الدرجةُ الرفيعةُ في الفضل**، وجمعها: فضائل[١]. وقد حاز القرآنُ أعلىٰ مراتبِ الفضلِ والفضيلةِ، وخصَّص المؤلفون في علوم القرآن كتبًا لبيان فضائله، وأفرد المُحَدِّثُونَ أبوابًا لبيان ذٰلك.

وتقديمُ الحديث عن فضائل القرآن الكريم، لأنه أولُ شيءٍ يَحتاج إليه قارئ القرآن، وذٰلك لأنه إذا عَرَفَ فضله وما له من الثواب فيه، رَغِبَ في تَعلُّمِه، واجتهد في تدارُسِه، واشتغلَ بتعرُّفِ وجوهِه، وما له عليه فيه، ابتغاء وجه ربه، ورجاء ثوابه[٢].

المطلب الأول: فضل القرآن وتلاوته، وتعلُّمه وتعليمه، وتعاهُده:

(١) فضل القرآن:

القرآن كلام الله تعالىٰ، أنزله الله علىٰ رسوله محمد ﷺ، ووَصَفَهُ بقوله: ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ۝٤١ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت]، فالقرآن مُنَزَّهٌ عن كلِّ نقص، وهو فوق كلِّ كلام، وفضلُه علىٰ سائر الكلام كفضل الله تعالىٰ علىٰ خلقه[٣]، وقد جاءت آياتٌ وأحاديثُ كثيرةٌ في بيان فضائل القرآن، لا يتَّسعُ المقامُ لذكرها كلِّها، لٰكن نشيرُ إلىٰ عددٍ منها.

١. قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٩].

---

(١) ينظر: لسان العرب لابن منظور (١١/ ٥٢٤).

(٢) ينظر: الإيضاح في القراءات للأندرابي (١/ ٧٩).

(٣) أخرج الترمذي (٥/ ١٨٤، رقم: ٢٩٢٦)، والدارمي (٤/ ٢١١٢، رقم: ٣٣٩٩)، والبيهقي في شعب الإيمان (٣/ ٣٩٣، رقم: ١٨٦٠) من حديث أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول الرب عز وجل: مَن شغَلَه القرآنُ عن ذكري ومسألَتي أعطيتُه أفضلَ ما أعطي السائلين، وفَضْلُ كلام الله علىٰ سائر الكلام كفضل الله علىٰ خلقه». وقال الترمذي: هٰذا حديث حسن غريب.

٢. وقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [يونس: ٥٧].

٣. وقال عَزَّ مِن قائلٍ: ﴿لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعٗا مُّتَصَدِّعٗا مِّنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر: ٢١].

٤. وقال سبحانه وتعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٖ﴾[الزمر:٢٣].

٥. وقال ﷺ: «**فإنَّ خيرَ الحديث كتابُ الله، وخيرَ الهَدْيَ هَدْيُ محمد** ﷺ»[(١)].

٦. وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: «**الصيام والقرآن يَشْفعانِ للعبد، يقول الصيام: ربِّ إني منعتُه الطعامَ والشهوات بالنهار فشَفِّعْنِي فيه، ويقول القرآن: منعتُه النومَ بالليل، قال: فيُشَفَّعانِ**»[(٢)].

٧. وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «إنَّ هٰذا القرآنَ مَأْدُبةُ الله تعالىٰ، فتعلَّموا من مَأْدُبَتِهِ ما استطعتم، إنَّ هٰذا القرآن هو حبلُ الله، وهو النورُ المبين، والشِّفاءُ النافعُ، عِصمةٌ لمن تمسَّك به، ونَجاةٌ لمن تَبِعَه، لا يَعْوَجُّ فيُقَوَّمُ، ولا يَزِيغُ فيُسْتَعْتَبُ، ولا تَنقَضِي عجائِبُه، ولا يَخْلَقُ علىٰ كثرةِ الرَّدِّ، فاتْلُوهُ، فإنَّ الله يأجركم علىٰ تلاوتِه بكلِّ حرفٍ عشرُ حسنات، أَمَا إني لا أقول: ﴿الٓمٓ﴾حرف، ولٰكن ألفٌ حرف، ولامٌ حرف، وميمٌ حرف»[(٣)].

---

(١) أخرجه مسلم (٢/ ٥٩٢، رقم: ٨٦٧)، وتُضْبَطُ كلمة (الهَدْي) بفتح الهاء، وياء بعد الدال الساكنة، وبضم الهاء وألف مقصورة بعد الدال المفتوحة، ورَجَّحْنَا الصيغة الأولىٰ، فهي أنسب للسياق.

(٢) أخرجه أحمد (١١/ ١٩٩، رقم: ٦٦٢٦)، والطبراني في المعجم الكبير (١٤/ ٧١، رقم: ١٤٦٧٢)، وفي إسناده حُيي بن عبد الله بن شريح المعافري؛ أكثر الأئمة علىٰ تضعيفه. ينظر: تهذيب التهذيب (٣/ ٦٣، رقم: ١٤٠).

(٣) أخرجه عبد الرزاق (٣/ ٣٧٥، رقم: ٦٠١٧)، وسعيد بن منصور في سننه (١/ ٤٣)، والدارمي في سننه

(٢) فضل تلاوة القرآن:

١. قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ۝٢٩ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر: ٢٩- ٣٠].

٢. وعن أبي موسى الأشعري، عن النبي ﷺ قال: «**مَثَلُ الذي يقرأ القرآن: كالأُتْرُجَّةِ طعمها طَيِّبٌ، وريحها طَيِّبٌ، والذي لا يقرأ القرآن: كالتمرةِ طعمها طَيِّبٌ ولا ريحَ لها، ومَثَلُ الفاجر الذي يقرأ القرآن: كمثلِ الرَّيحانةِ ريحها طَيِّبٌ، وطعمها مُرٌّ، ومَثَلُ الفاجرِ الذي لا يقرأ القرآن: كمثل الحَنظلةِ طعمها مُرٌّ، ولا ريحَ لها**»[(١)].

٣. وعن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «**ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله تعالىٰ، يتلون كتاب الله، ويتَدَارَسُونَهُ بينهم، إلا نَزَلَتْ عليهم السكينة، وغَشِيَتهم الرحمة، وحفَّتْهم الملائكة، وذَكَرَهُمُ الله فيمن عنده**»[(٢)].

(٣) فضل تعلُّمِ القرآن وتعليمِه:

١. أخرج البخاري، عن أبي عبد الرحمٰن السُّلمي، عن عثمان رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**خيركم من تعلَّم القرآن وعلَّمه**»، قال: «وأقرأ أبو عبد الرحمٰن في إمْرَةِ عثمان، حتىٰ كان الحَجَّاجُ، قال: وذاك الذي أَقْعَدَنِي مَقْعَدِي هٰذا»[(٣)].

٢. وعن عقبةَ بنِ عامر قال: خرج رسول الله ﷺ ونحن في الصُّفَّةِ، فقال: «**أيُّكُم يُحبُّ أنْ يَغْدُوَ كلَّ يوم إلىٰ بُطْحانَ، أو إلى العقيق، فيأتيَ منه بناقَتين كَوْماوَيْنِ[(٤)] في غير إثمٍ، ولا قَطْعِ رَحِمٍ؟**»، فقلنا: يا رسول الله، نُحِبُّ ذٰلك، قال: «**أفلا يَغْدُو أحدكم**

(٤/ ٢٠٨٣، رقم: ٣٣٥٠)، ورُوي مرفوعًا، ولا يصحُّ، كما بيَّن ابن الجوزي. ينظر: العلل المتناهية (١/ ١٠٢).

(١) أخرجه البخاري (٦/ ١٩٠، رقم: ٥٠٢٠)، ومسلم (١/ ٥٤٩، رقم: ٧٩٧).

(٢) أخرجه مسلم (٤/ ٢٠٧٤، رقم: ٢٦٩٩).

(٣) صحيح البخاري (٦/ ١٩٢، رقم: ٥٠٢٧).

(٤) كَوْمَاوَيْن: مثنىٰ كَوْمَاءَ، وهي مُشْرِفَةُ السَّنَامِ عَالِيَتُهُ من الإبل. ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٤/ ٢١١).

إلى المسجد فيعلم، أو يقرأ آيتين من كتاب الله عز وجل، خيرٌ له من ناقتين، وثلاثٌ خيرٌ له من ثلاث، وأربعٌ خيرٌ له من أربعٍ، ومن أعدادهن من الإبل»[١].

(٤) فضل أهل القرآن:

عن أنس بن مالك أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**إنَّ لله تعالىٰ أهلِينَ من الناس**»، قيل: مَنْ هم، يا رسول الله؟ قال: «**أهلُ القرآن، هم أهلُ الله وخاصَّته**»[٢].

قال ابن الأثير: «أهلُ القرآنِ هم أهلُ الله وخاصَّتُهُ: أي: حَفَظَةُ القرآنِ العاملونَ به هم أولياءُ اللهُ والمختصُّون به اختصاصَ أهلِ الإنسانِ به»[٣].

(٥) الأمر بتعاهُد القرآن:

أمر رسول الله ﷺ بتعاهُدِ القرآن الكريم، وعدمِ هَجْرِه، حتىٰ لا يَنْسَى المسلمُ ما حَفِظ منه، وحتىٰ يظلَّ مستشعرًا بركةَ القرآن، ويزداد من الحسنات بتلاوته.

فقد أخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما[٤]، عن أبي موسى الأشعري، عن النبي ﷺ قال: «**تعاهَدُوا هٰذا القرآنَ، فوالذي نفسُ محمدٍ بيدِه لهو أشد تَفَلُّتًا - أو تَفَصِّيًا**[٥] **- من الإبل في عُقُلِها**».

وقوله: «تعاهدوا»، أي: وَاظِبُوا عليه بالحفظِ والتَّرداد، خشيةَ تَفَلُّتِه، كما تتفلَّت الإبلُ من رباطها، لأنَّ من شأن الإبل تَطَلُّبَ التفلُّت ما أمكنها، فمتىٰ لم يتعاهدها برباطها تَفَلَّتَتْ، فكذلك حافظُ القرآن إن لم يتعاهَدْهُ تفلَّت، بل هو أشدُّ في ذٰلك[٦].

---

(١) أخرجه مسلم (١/ ٥٥٢، رقم: ٨٠٣). وينظر: فضائل القرآن لأبي عبيد (٤٤)، وفضائل القرآن لابن الضريس (٤٧)، وفضائل القرآن وتلاوته للرازي (١٣٢).

(٢) أخرجه ابن ماجه (١/ ٧٨، رقم: ٢١٥)، وأحمد (١٩/ ٢٩٦، رقم: ١٢٢٧٩)، وقال البوصيري: هٰذا إسناد صحيح رجاله موثقون. مصباح الزجاجة (١/ ٢٩).

(٣) النهاية في غريب الحديث (١/ ٨٣)، وينظر: لسان العرب (١١/ ٢٨).

(٤) صحيح البخاري (٦/ ١٩٣، رقم: ٥٠٣٣)، وصحيح مسلم (١/ ٥٤٥، رقم: ٧٩١).

(٥) تفصِّيا: أي أشد خروجا. ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٣/ ٤٥٢).

(٦) ينظر: فتح الباري (٩/ ٨١)، وعمدة القاري (٢٠/ ٤٩).

المطلب الثاني: تفاضل القرآن، وفضائل بعض السور والآيات:

اختلف أهل العلم: هل في القرآن شيءٌ أفضل من شيءٍ؟

فذهب عددٌ منهم إلى المنع، لأنَّ الجميعَ كلامُ الله، ولئلَّا يُوهمَ التفضيلُ نَقْصَ المُفَضَّلِ عليه.

وذهب آخرون إلى التفضيلِ، لظواهرِ الأحاديث، ولأن التفضيلَ إنما هو بالمعاني العجيبةِ وكثرتها، لا من حيث الصفة، فالقرآنُ كلُّه كلامُ الله تعالى، مُعجِزٌ في بيانِه، مُحكَمٌ في مَعانيه، قال القرطبي: «وهذا هو الحق»[(١)].

وسوف نذكر فيما يأتي عدداً من الأحاديث النبوية الدالةِ على ذلك:

(١) فضائل بعض السُّوَر:

وسوف نكتفي بذكر ما ورد في شأنها من أحاديث صحيحة من غير تعليق عليها، طلبًا للإيجاز، مع وضوح دلالة الأحاديث على المعنى المقصود:

١. فضل سورة الفاتحة:

عن أبي سعيد بن المُعَلَّى ﷺ، قال: كنت أُصَلِّي في المسجد، فدعاني رسول الله ﷺ، فلم أُجِبْهُ، فقلت: يا رسول الله، إني كنتُ أُصلِّي، فقال: «**ألم يقل الله**: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤]»؟. ثم قال لي: «**لَأُعَلِّمَنَّكَ سورةً هي أعظم السُّورِ في القرآن، قبل أنْ تخرجَ من المسجد**». ثم أخذ بيدي، فلما أراد أنْ يخرجَ، قلت له: ألم تقل: لأُعلِّمَنَّك سورةً هي أعظمُ سورةٍ في القرآن؟ قال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ **هي السبعُ المثاني، والقرآنُ العظيمُ الذي أُوتِيتُهُ**»[(٢)].

٢. فضل سورتَي البقرة وآل عمران:

عن أبي أمامةَ الباهليِّ ﷺ قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**اقرؤوا القرآن فإنه**

---

(١) تفسير القرطبي (١/ ١٠٩-١١٠)، وينظر: جواهر القرآن (٦٢-٦٣)، والبرهان للزركشي (١/ ٤٣٨)، والإتقان للسيوطي (٦/ ٢١٣٩-٢١٤٠).

(٢) أخرجه البخاري (٦/ ١٧، رقم: ٤٤٧٤)، و(٦/ ٨١، رقم: ٤٧٠٣).

يأتي يوم القيامة شفيعًا لأصحابه، اقرؤوا الزهراوَين، البقرة، وسورة آل عمران، فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غَمامَتان، أو كأنهما غَيَايتان، أو كأنهما فِرقان من طيرٍ صَوَافَّ، تُحَاجَّانِ عن أصحابهما، ٱقرؤوا سورةَ البقرة، فإنَّ أخذَها بركةٌ، وتَركَها حَسْرةٌ، ولا تستطيعها البَطَلَةُ»(١).

٣. فضل سورة الكهف:

عن البراءِ بنِ عازب ﷺ، قال: كان رجلٌ يقرأ سورةَ الكهف، وإلىٰ جانبه حصانٌ مربوطٌ بشَطَنَيْنِ، فَتَغَشَّتْهُ سَحابةٌ، فجعلت تَدنو وتَدنو، وجعلَ فرسُه يَنفِرُ، فلما أصبحَ أتى النبيَّ ﷺ، فذكر ذٰلك له، فقال: «**تلك السَّكينةُ تنزَّلَتْ بالقرآن**»(٢).

وعن أبي الدرداء ﷺ، أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**مَنْ حَفِظَ عشرَ آياتٍ مِن أول سورةِ الكهف عُصِمَ من الدَّجَّال**»(٣).

٤. فضل سورة الإخلاص:

عن أبي الدَّرداء ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «**أيَعْجِزُ أحدُكم أنْ يقرأَ في ليلةٍ ثُلُثَ القرآن؟**»، قالوا: وكيف يقرأ ثُلُثَ القرآن؟ قال: «﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾: **تَعْدِلُ ثُلُثَ القرآن**»(٤).

٥. فضل المعوِّذتين:

عن عقبةَ بنِ عامر ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**ألم ترَ آياتٍ أُنزِلت الليلةَ لم يُرَ مثلُهنَّ قط**، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ **و** ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ »(٥).

---

(١) أخرجه مسلم (١/ ٥٥٣، رقم: ٨٠٤). وينظر: المعجم الكبير للطبراني (٨/ ١١٨، رقم: ٧٥٤٤)، وفضائل القرآن للمستغفري (١/ ٤٩٧). والغَيَايَةُ: كل شيء أظل الإنسان فوق رأسه كالسحابة. (ينظر: النهاية في غريب الحديث، لابن الأثير ٣/ ٤٠٣). والبطلة: السحرة. (ينظر: النهاية في غريب الحديث، لابن الأثير ١/ ١٣٦).

(٢) أخرجه البخاري (٦/ ١٨٨، رقم: ٥٠١١)، ومسلم (١/ ٥٤٧، رقم: ٧٩٥)، ولفظ مسلم: «للقرآن».

(٣) أخرجه مسلم (١/ ٥٥٥، رقم: ٨٠٩).

(٤) أخرجه البخاري (٦/ ١٨٩، رقم: ٥٠١٥)، ومسلم (١/ ٥٥٦، رقم: ٨١١)، واللفظ له.

(٥) أخرجه مسلم (١/ ٥٥٨، رقم: ٨١٤).

وعن عائشة رضي الله عنها «أنَّ النبي ﷺ كان إذا أَوَىٰ إلىٰ فراشِه كلَّ ليلةٍ جمَعَ كَفَّيْهِ، ثم نفَثَ فيهما فقرأ فيهما: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾، ثم يمسح بهما ما استطاع من جسدِه، يبدأ بهما علىٰ رأسِه ووجهِه وما أقبلَ من جسده، يفعلُ ذٰلك ثلاثَ مرَّات»[(١)].

(٢) فضائل بعض آي القرآن:

١. فضل آية الكرسي:

وعن أُبيِّ بنِ كعب ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**يا أبا المنذر، أتَدرِي أيُّ آيةٍ مِن كتابِ الله معك أعظمُ؟**» قال: قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «**يا أبا المنذر أتَدرِي أيُّ آيةٍ مِن كتابِ الله معك أعظمُ؟**» قال: قلت: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ﴾[البقرة: ٢٥٥]. قال: فضَربَ في صَدري، وقال: «**والله، لِيَهْنِكَ العلمُ، أبا المنذر**»[(٢)].

٢. فضل الآيتين من آخر سورة البقرة:

عن أبي مسعودٍ الأنصاري ﷺ قال: قال النبي ﷺ: «**الآيتان مِن آخرِ سورةِ البقرة، من قرأ بهما في ليلةٍ كَفَتَاه**»[(٣)].

(٣) أثر الوضع في الحديث في فضائل القرآن:

وردت أحاديثُ صحيحةٌ كثيرةٌ في بيان فضائل القرآن، وفضلِ تلاوتِه وتعليمِه، وفضائلِ سُورٍ مُعيَّنةٍ، وآياتٍ مخصوصةٍ، كما تقدَّم في الفقرات السابقة.

ومع ذٰلك فقد **أقدمَ بعضُ الرُّواةِ والمؤلِّفين علىٰ وضع أحاديثَ ونسبَتِها إلىٰ النبيِّ ﷺ في فضائل القرآن**، إما بحُسنِ نيةٍ، تَرغيباً للناس في القرآن، أو بسوء قَصدٍ، كَيداً بالقرآن وأهلِه، وفي كلتا الحالَتَين فإنَّ **فاعل ذٰلك يرتكب إثماً عظيماً**، فبَيانُ فضلِ القرآن الكريم ليس بحاجةٍ إلىٰ ذٰلك، بعد أنْ بيَّنَ لنا رسول الله ﷺ فضائلَ القرآنِ أوضحَ بيان.

---

(١) أخرجه البخاري (٦/ ١٩٠، رقم: ٥٠١٧).

(٢) أخرجه مسلم (١/ ٥٥٦، رقم: ٨١٠).

(٣) أخرجه البخاري (٥/ ٨٤، رقم: ٤٠٠٨)، (٦/ ١٨٨، رقم: ٥٠٠٨)، ومسلم (١/ ٥٥٤، رقم: ٨٠٧، و٨٠٨).

وقد اجتهد علماءُ الحديث في بيان ما وضعه الوضَّاعُونَ في فضائل القرآن، وأفردوها في أبوابٍ خاصَّةٍ في كتبهم التي ألَّفوها في بيان الموضوعات[١].

ومن أشهر الأخبار الموضوعة في فضائل القرآن: الحديثُ الذي وَضَعَهُ نوح بن أبي مريم أبو عِصْمَةَ المروزي[٢]، عن ابن عباس ﷺ في فضائل السُّورِ، سورةً سورة، وقيل لأبي عصمة: من أين لك عن عكرمةَ عن ابنِ عباس في فضائل القرآن سورةً سورة، وليس عند أصحاب عكرمة هذا؟! فقال: «إني رأيتُ الناسَ أعرضوا عن القرآن، واشتغلوا بفقهِ أبي حنيفةَ ومغازي ابنِ إسحاق، فوضعتُ هذا الحديثَ حِسْبَةً»[٣].

وقد أخطأ بعض المفسِّرين في إيرادهم هذا الحديث في تفاسيرهم، سواء مَن ذكرهُ بإسنادٍ، مثل الثعلبي، والواحدي، ومَن ذكرهُ بغير إسنادٍ، مثل الزمخشري والبيضاوي[٤].

(٤) أهم المصنفات في فضائل القرآن:

اعتنى العلماء بموضوع فضائل القرآن الكريم، لأنه يحضُّ الناسَ على الإقبال على القرآن تلاوةً وتدبُّراً وعملاً، وأفرد له علماءُ الحديث أبوابًا في كتبهم، وكذلك المؤلِّفون في علوم القرآن. والحديثُ يطولُ في تتبُّع ذلك كلِّه، ومن ثمَّ فإننا سوف نشير إلىٰ أهمِّ المصنفات المفردة في فضائل القرآن.

وقد ذكر ابن النديم أكثرَ من عشرة كتب في فضائل القرآن في كتابه «الفهرست»[٥]، وأكثرها مفقود في زماننا، ولعل كتاب أبي عبيد القاسم بن سلَّام (ت ٢٢٤هـ) هو الكتاب الوحيد الباقي من تلك الحقبة المتقدِّمة، وهناك مؤلَّفاتٌ أخرىٰ من العصور اللاحقة لزمن ابن النديم، وقد طُبِعَ عددٌ منها.

---

(١) ينظر: الموضوعات لابن الجوزي (١/ ٢٣٩)، واللآلئ المصنوعة للسيوطي (١/ ٢٠٧)، وتنزيه الشريعة المرفوعة (١/ ٢٨٥).

(٢) قاضي مرو، كان يضع الحديث، توفي سنة ١٧٣هـ. ينظر: تاريخ الإسلام للذهبي (٤/ ٧٥٧)، وتقريب التهذيب (٧٢١٠).

(٣) ينظر: الإرشاد للخليلي (٣/ ٩٠١)، والموضوعات لابن الجوزي (١/ ٤١).

(٤) ينظر: تذكرة الموضوعات للفَتَّني (٨١).

(٥) ينظر: الفهرست (٣٩-٤٠).

ومن أشهر كتب فضائل القرآن المطبوعة في زماننا:

١. فضائل القرآن، لأبي عبيد القاسم بن سلَّام الهروي (ت ٢٢٤هـ).

٢. فضائل القرآن، لأبي عبد الله محمد بن يحيىٰ بن أيوب بن الضُّرَيس الرازي (ت ٢٩٤هـ).

٣. فضائل القرآن، لأبي بكر جعفر بن محمد الفِرْيابي (ت ٣٠١هـ).

٤. فضائل القرآن، لأبي عبد الرحمٰن أحمد بن شعيب النسائي (ت ٣٠٣هـ).

٥. فضائل القرآن، لأبي العباس جعفر بن محمد المستغفِري (ت ٤٣٢هـ).

٦. فضائل القرآن وتلاوته، لأبي الفضل عبد الرحمٰن بن أحمد الرازي (ت ٤٥٤هـ).

٧. لَمحات الأنوار ونفحات الأزهار ورِيُّ الظمآن لمعرفة ما ورد من الآثار في ثواب قارئ القرآن، لمحمد بن عبد الواحد الغافقي (ت ٦١٩هـ).

٨. فضائل القرآن، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤هـ).

ومن المؤلفات التي تُشْبِهُ كتب فضائل القرآن: ما أُلِّفَ في أخلاق أهل القرآن، ومنها:

١. أخلاق حَمَلة القرآن، لأبي بكر محمد بن الحسين الآجُرِّي (ت ٣٦٠هـ).

٢. التبيان في آداب حَمَلة القرآن، لأبي زكريا يحيىٰ بن شرف النووي (ت ٦٧٦هـ).

المبحث الثاني
آداب تلاوة القرآن الكريم

ينبغي أن يستشعر قارئ القرآن عظمة كتاب الله تعالىٰ، فإذا أراد القراءة فإن عليه أن يلتزم بما ورد من الآداب والسنن التي تتعلق بنظافة البدن والمكان، وبكيفية التلاوة، والتزام توقير القرآن، واجتناب ما ينافي ذٰلك من مظاهر الغفلة وعدم التيقظ والخشوع.

(١) نظافة البدن والمكان[١]:

يُسْتَحَبُّ أن يقرأ القارئ وهو علىٰ طهارة، إذا كان يقرأ من حفظه، فإن قرأ وهو مُحْدِثٌ جاز بإجماع المسلمين، والأحاديث الدالة علىٰ ذٰلك كثيرة، وأما الجُنُبُ والحائض فإنه يَحْرُمُ عليهما قراءة القرآن، سواء كان آية أو أقل منها، ويجوز لهما إجراء القرآن علىٰ قلبهما من غير تلفظ به.

وينبغي إذا أراد القراءة أن ينظف فاه بالسِّواك وغيره، والاختيار في السواك أن يكون بِعُودٍ من أَرَاكٍ، ويجوز بسائر العِيدَانِ، وبكل ما ينظف كالخِرْقَةِ الخشنة والأُشْنَانِ وغير ذٰلك.

ويستحبُّ أن تكون القراءة في مكان نظيف، واْسْتَحَبَّ جماعة من العلماء القراءة في المسجد، لكونه جامعًا للنظافة وشرف البقعة، لٰكن القراءة جائزة في أي مكان طاهر نظيف.

ويَحْرُمُ على المُحْدِثِ مَسُّ المصحف وحمله، وأما كتب تفسير القرآن فإن كان القرآن فيها أكثر من غيره حَرُمَ مَسُّهَا وحملها على المُحْدِثِ، وإن كان غيره أكثر جاز علىٰ خلاف في ذٰلك.

---

(١) ينظر: التبيان للنووي (٧٢-٨٠، و١٩٢-١٩٥)، والإتقان للسيوطي (٢/ ٦٦٧-٦٧١).

(٢) الاستعاذة والبسملة[١]:

إذا أرادَ القارئُ الشروع في القراءة فإنه يستحب له الاستعاذة قبل القراءة، لقوله تعالىٰ: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ [النحل: ٩٨]، والصيغة المختارة في الاستعاذة هي: (أعوذُ باللهِ مِنَ الشيطانِ الرجيمِ)، والتعوُّذ مستحب لكل قارئ سواء كان في الصلاة أو في غيرها، والجهر بالاستعاذة والمخافتة بها متعلق بحال القارئ، فإن كان يجهر في قراءته فالأفضل الجهر بها، أما في الصلاة فالمختار الإخفاء.

وينبغي للقارئ أن يحافظ علىٰ قراءة (بسم الله الرحمٰن الرحيم) في أول كل سورة سوىٰ براءة، وإذا بدأ القارئ قراءته بأوساط السور ٱستعاذ، وجاز له البسملة مطلقًا، سوىٰ وسط سورة (براءة)، فبين العلماء خلاف في جواز البسملة في وسطها.

(٣) ترتيل التلاوة وتحسين الصوت[٢]:

أجمع العلماء من السلف والخلف من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من أئمة المسلمين علىٰ استحباب تحسين الصوت بالقرآن، ما لم يخرج عن حد القراءة، فإن أفرط حتىٰ زاد حرفًا أو أخفاه فهو حرام، وتكره لذلك القراءة بالألحان التي تخرج بالتلاوة عن حدها.

وينبغي لمن قرأ القرآن أن يُرَتِّلَهُ ترتيلاً، كما قال الله تعالىٰ: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل: ٤]، أي بَيِّنْهُ تبيينًا، وعلى القارئ ألَّا يُخِلَّ بقواعد التلاوة، سواءٌ قرأ بالتحقيق، وهو التمهل، أو بالحدر، وهو السرعة في القراءة، أو توسَّط في ذلك.

(٤) الخشوع والتدبر:

قراءة القرآن عبادة مقصودها الاتعاظ والائتمار والانزجار، وقد قال الله تعالىٰ: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [سورة ص: ٢٩]، وقال سبحانه:

---

(١) ينظر: التيسير للداني (١٦)، والنشر لابن الجزري (١/ ٢٤٣، و٢٦٥).

(٢) ينظر: أخلاق حملة القرآن للآجري (١٠٨)، والتبيان للنووي (٨٨-٨٩، و١٠٩-١١٢)، والنشر لابن الجزري (١/ ٢٠٥)، وفتح الباري لابن حجر (٩/ ٧٢).

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ [سورة محمد: ٢٤]، والتَّدَبُّرُ معناه التفكر في عاقبة الشيء، وتَدَبُّرُ الآيات هو التفكر في معانيها وما تدل عليه[١].

وقد حث العلماء على التزام قارئ القرآن بِتَفَهُّمِ ما يقرأ، والتفكر فيه، مع الخشوع، وترك ما يُلْهِي عن ذلك، ومن لوازم التفكر أن القارئ إذا مَرَّ بآيةِ رحمةٍ سأل مولاه الكريم، وإذا مرت به آية عذاب استعاذ بالله من النار[٢].

وعلى القارئ أن يلزم احترام القرآن والابتعاد في أثناه القراءة عن الضحك واللغط والحديث في خلال القراءة، إلا كلاماً يضطر القارئ إليه، وينبغي أن يتمثل القارئ والمستمع قول الله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف ٢٠٤][٣].

وقد لَخَّصَ الإمام الغزالي شرائط القراءة المحمودة بقوله: «تلاوة القرآن حَقَّ تلاوته هو أن يشترك فيه اللسانُ والعقلُ والقلبُ، فَحَظُّ اللسان تصحيح الحروف بالترتيل، وحَظُّ العقل تفسير المعاني، وحَظُّ القلب الاتعاظ والتأثر والانزجار والائتمار، فاللسان يُرَتِّلُ، والعقل يُتَرْجِمُ، والقلب يَتَّعِظُ»[٤].

(٥) أوقات القراءة المحمودة، والسرعة فيها:

إنَّ أفضل القراءة ما كان في الصلاة، أما القراءة في غير الصلاة فأفضلها قراءة الليل، والنصف الأخير من الليل أفضل من النصف الأول، والقراءة بين المغرب والعشاء محبوبة، وأما القراءة في النهار فأفضلها بعد صلاة الصبح، ولا كراهية في القراءة في وقت من الأوقات[٥].

---

(١) ينظر: لسان العرب لابن منظور (٤/ ٢٧٣)، والبحر المحيط لأبي حيان (٩/ ١٥٣).
(٢) ينظر: أخلاق حملة القرآن للآجري (٩٧).
(٣) ينظر: التبيان للنووي (٩٢).
(٤) إحياء علوم الدين (١/ ٢٩٤).
(٥) ينظر: التبيان للنووي (١٥٥-١٥٦).

واخْتَلَفَ العلماء في الأفضل: هل الترتيل وقلة القراءة أو السرعة مع كثرة القراءة؟ فذهب بعضهم إلى أن كثرة القراءة أفضل، لأنَّ للقارئ بكل حرف حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لكن معظم العلماء يقولون إن الترتيل والتدبر مع قلة القراءة أفضل من السرعة مع كثرتها، لأن المقصود من القرآن فهمه والتفقه فيه والعمل به. وتلاوته وحفظه وسيلة إلى معانيه، وقال بعض العلماء: إن ثواب قراءة الترتيل والتدبر أجلُّ وأرفع قدراً، وإن ثواب كثرة القراءة أكثر عدداً[١].

ومما له علاقة بسرعة القراءة تحديد المدة المفضلة لختم القرآن، والأصل استحباب الإكثار من قراءة القرآن[٢]، وقد تفاوَتَتْ سيرة السلف في القدر الذي يختمون فيه، فكثيرون كانوا يختمون في أسبوع، أو في أسبوعين أو في شهر، وكرهوا أن يختم القارئ في أقل من ثلاث ليالٍ، لقوله ﷺ: (لم يَفْقَهْ مَن قرأ القرآن في أقلَّ من ثلاث)[٣]، وكرهوا أن يأتي عليه أكثر من أربعين يومًا ولم يختم القرآن[٤]، وقال بعض العلماء: إن ذلك يختلف باختلاف حال الشخص في النشاط والضعف والتدبر والغفلة[٥].

(١) ينظر: النشر لابن الجزري (١/ ٢٠٨-٢٠٩).

(٢) ينظر: الإتقان للسوطي (٢/ ٦٥٧).

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (١١/ ٣٨٩)، من حديث عبد الله بن عمرو (رقم الحديث ٦٧٧٥)، وأبو داود في سننه (٢/ ٥٤، ٥٦، رقم الحديث ١٣٩٠، و١٣٩٤)، والترمذي في سننه (٥/ ٤٦، رقم الحديث ٢٩٤٦)، وقال: حديث حسن صحيح.

(٤) ينظر: سنن الترمذي (٥/ ٤٧).

(٥) ينظر: التبيان للنووي (٥٩)، والبرهان للزركشي (١/ ٤٧١).

الفصل الثالث

نزول القرآن الكريم

يتضمن هٰذا الفصل أربعة مباحث:

المبحث الأول: الوحي، وتنزيل القرآن.

المبحث الثاني: نزول القرآن الكريم.

المبحث الثالث: أسباب نزول القرآن.

المبحث الرابع: المكي والمدني.

المبحث الأول
الوحي، وتنزيل القرآن

من الحقائق المعلومة من الدين بالضرورة أنَّ القرآن كلام الله تعالىٰ، أَوْحَاهُ بلفظه ومعناه إلىٰ جبريل عليه السلام، وأنَّ جبريلَ قد أدَّاه كما سمعه من الله تعالىٰ إلىٰ النبي ﷺ[١]، فلتقَّىٰ رسول الله ﷺ القرآنَ الكريم بواسطة جبريل عليه السلام مُفرَّقًا في ثلاثٍ وعشرين سنة، وهٰذا الفصل مُخصَّص لدراسة ما يتعلَّق بموضوع نزول القرآن، بَدْءًا بالوحي، ثم تنزيل القرآن، وأسباب النُّزول، والمكِّي والمدني.

المطلب الأول: تعريف الوحي، وأنواعه، وكيفياته:

سُمِيَّ نزولُ جبريل بالقرآن على النبي ﷺ بالوحي، وهو من الأمور الغيبيَّة التي لا تُدركها حواسُّ البشر، خصَّ الله تعالىٰ به الأنبياء والرسل، وهٰذا المبحث مُخصَّصٌ للحديث عن الوحي، وأنواعه، وآثاره، من خلال ما دلَّت عليه آيات القرآن الكريم والأحاديث الصحيحة.

(١) تعريف الوحي:

الوَحْيُ لغةً: مصدر الفعل (وَحَىٰ، يَحِي، وَحْيًا)، يقال: وَحَيْتُ إليه الكلام، ويقال أيضًا: أَوْحَيْتُ إليه أُوحِي إيحاءً، بمعنىً واحدٍ: كَلَّمْتُهُ في خفاء، وأومأتُ إليه، واللغة الفاشية في القرآن (أَوْحَيْتُ) بالألف، وفي غير القرآن (وَحَيْتُ). ومعنى الوحي في أصل اللغة: **إعلامٌ في خَفَاءٍ**، ولذٰلك صار الإلهام يُسَمَّىٰ وَحْيًا، وكذٰلك الإشارةُ والإيماءُ يُسَمَّىٰ وَحْيًا، والكتابةُ تُسَمَّىٰ وَحْيًا أيضًا، والوَحْيُ: ما يُوحِيهِ اللهُ إلىٰ أنبيائه، سُمِّيَ وحيًا لأنَّ المَلَكَ أَسَرَّهُ عن الخَلْقِ، وخَصَّ به النبيَّ المبعوثَ إليه[٢].

---

(١) ينظر: المعرفة في الإسلام لعبد الله بن محمد القرني (٤٩).

(٢) ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/ ١٣٣)، وتهذيب اللغة للأزهري (٥/ ١٩٢-١٩٣)، ولسان

وبالنظر لعموم المعنى اللغوي لكلمة الوحي، وهو إعلامٌ في خَفَاءٍ، فقد ورد استعمالُ الكلمة في القرآن بمعانٍ مُتعدِّدةٍ، منها الوحي إلى الأنبياء عليهم السلام، ومنها الوحي إلىٰ غيرهم، من الملائكة، ومن البشر، أو المخلوقات الأخرىٰ من حيوان أو جماد، قال الله تعالىٰ:

﴿ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ ﴾ [الأنفال: ١٢].

﴿ إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴾[طه: ٣٨].

﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ ﴾ [النحل:٦٨].

﴿ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴾ [الزلزلة: ٥].

والمقصود بالحديث في هٰذا المبحث من معاني الوحي ما يَخُصُّ الأنبياءَ، عليهم السلام، والنبيَّ محمداً ﷺ على وجه الخصوص.

(٢) كيفية وحي الله إلىٰ أنبيائه صلوات الله وسلامه عليهم:

الوَحْيُ إلى الأنبياء أمرٌ خارق لِمَا اعتادَ عليه الناس من حديث بعضهم لبعض، والملائكة التي تنزل إلى الأنبياء مخلوقاتٌ ليست مادية، والبشر العاديون غير مهيئين للأخذ عنهم مباشرة، إلا الأنبياء الذين مَكَّنَهُمُ الله تعالىٰ من ذٰلك، ونَقَلَهُم بالنبوة من صفة البشرية إلىٰ مرتبةٍ أعلىٰ تُمكنهم من تلقِّي الوحي المُنَزَّلِ عليهم، وليس من شأن البشر التلقِّي عن الله تعالىٰ مباشرةً، كما بَيَّنَ القرآن ذٰلك، وذَكَرَ السُّبُلَ التي يُبَلِّغُ اللهُ بها كلماتِهِ إلى المُصْطَفَيْنَ من عباده، قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴾[الشورىٰ: ٥١]، فهٰذه الآيات تُبَيِّنُ أنَّ هناك ثلاث طرق لتبليغ كلام الله تعالىٰ إلى البشر، وهي:

١. الوَحْيُ: وهو الإعلام الخفي، وقد يكون بالرؤيا الصادقة في المنام، أو بالإلهام، وهو أنْ يُلْقِيَ اللهُ في النَّفْسِ أمراً يبعثُ على الفعل أو التَّرْكِ[1].

العرب لابن منظور (١٥/ ٣٧٩-٣٨٢).

(١) ينظر: لسان العرب لابن منظور (١٢/ ٥٥٥).

٢. التكليم من وراء حجاب، كما كَلَّمَ الله تعالىٰ موسىٰ عليه السلام، قال الله تعالىٰ: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾ [النساء: ١٦٤].

٣. إرسالُ الرسول، وهو المَلَكُ الذي ينزل إلى الانبياء والمرسلين، ويُسَمَّىٰ نزوله عليهم وحيًا أيضًا، وقد أشارت الآية اللاحقة إلىٰ أنَّ ما أوحاه الله تعالىٰ إلى النبي محمد ﷺ هو من جنس ما أوحاه إلى الأنبياء السابقين: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ﴾ [الشورىٰ:٥٢]، وقد أَكَّدَتْ هٰذا المعنىٰ آيات أخرىٰ، منها قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ﴾[النساء: ١٦٣].

وقد سُمِّيَ نزولُ جبريل عليه السلام بالقرآن علىٰ رسول الله ﷺ وَحْيًا لأنه أَسَرَّهُ عن الخلق، وخَصَّ به النبيَّ المَبعوث إليه[١]، فلم يكن الصحابة يَرَوْنَ المَلَكَ وقتَ نزوله بالقرآن، مع أنهم كانوا يُحِسُّون بآثار نزوله.

المطلب الثاني: كيفية تلقي النبي ﷺ للقرآن

لا شكَّ في أنَّ الوحي من الغيب الذي لا يُعْرَفُ بالحواسِّ ولا يُدْرَكُ بالعقل المُجَرَّدِ، ومِن ثَمَّ فإنَّ القولَ في حقيقته وكيفيَّتِه يتوقَّفُ علىٰ ما ورد عنه في القرآن الكريم والسنة النبوية المشرفة، وقد جاء في عددٍ من الأحاديث والآثار وَصْفٌ لحالِ رسول الله ﷺ وقتَ نزول جبريل عليه السلام بالقرآن عليه، منها ما يتعلَّق بالجانب الخَفِيِّ من الوحي، ومنها ما يتعلَّق بآثاره الظاهرة المَحسوسةِ التي لاحظها الصحابة رضي الله عنهم.

فالجانب الخَفِيُّ للوحي وضَّحه رسول الله ﷺ للصحابة حين سألوه عنه:

فعن عبد الله بن عَمْرٍو قال: سألتُ النبيَّ ﷺ فقلتُ: يا رسول الله: هل تُحِسُّ بالوَحْيِ؟ قال: «**نَعَمْ، أَسْمَعُ صَلاصِلَ، ثم أَسْكُتُ عند ذلك، فما مِن مرةٍ يُوحَىٰ إليَّ إلا ظَنَنْتُ أَنَّ نفسي تَفِيضُ**»[٢].

---

(١) ينظر: لسان العرب لابن منظور (١٥/ ٣٨٠).

(٢) أخرجه أحمد (٦/ ٤٨٤، رقم: ٧٠٧١) واللفظ له، والطبراني في المعجم الكبير (١٣/ ١٦، و١٤/ ٢٣) ولفظه: (أن نفسي تقبض) وفي إسناده ابن لهيعة؛ ضعيفٌ لسوء حفظه. وعمرو بن الوليد السهمي المصري،

وعن عائشة أمِّ المؤمنين رضي الله عنها، أنَّ الحارث بن هشام ﷺ سَأَلَ رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله، كيف يأتيك الوحي؟ فقال رسول الله ﷺ: «**أحيانًا يأتيني مِثْلَ صَلْصَلَةِ الجَرَسِ، وهو أَشَدُّهُ عَلَيَّ، فَيَفْصِمُ عني وقد وَعَيْتُ ما قال، وأحيانًا يَتَمَثَّلُ لي المَلَكُ رجلاً فَيُكَلِّمُنِي فأَعِي ما يقولُ**»(١).

وأما آثار الوحي المَحسوسة التي لاحظها الصحابة:

فإنهم كانوا يسمعون عند وَجْهِهِ كَدَوِيِّ النَّحْلِ ساعةَ يُوحَىٰ إليه، كما ورد في حديث عمر بن الخطاب ﷺ(٢).

ولاحظوا أيضًا أنه ﷺ: «كان إذا نَزَلَ عليه الوَحْيُ كُرِبَ لذلك، وتَرَبَّدَ وَجْهُهُ»، كما في حديث عبادة بن الصامت(٣)، وذلك لِمَا كان يَلْقَىٰ مِن الشِّدَّة في أثناء الوحي.

وكان ﷺ إذا نزل عليه الوحي أَخَذَتْهُ البُرَحَاء(٤)، وهي شِدَّةُ الحُمَّىٰ(٥)، كما ورد في حديث عائشة رضي الله عنها، ومن ثَمَّ قالت: «ولقد رَأَيْتُهُ ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد، فَيَفْصِمُ عنه وإنَّ جَبِينَهُ لَيَتَفَصَّدُ عرقًا»(٦).

ولم يرو عنه سوىٰ يزيد بن أبي حبيب. ينظر: المغني في الضعفاء (٢/ ٤٩١، رقم: ٤٧٢٤)، وتهذيب التهذيب (٨/ ١٠٢، رقم: ١٩٣). فالإسناد ضعيف، وقد ضعَّفه الألباني في السلسلة الضعيفة (٦/ ٢٩٥).

(١) أخرجه البخاري (١/ ٦، رقم: ٢)، و(٤/ ١١٢، رقم: ٣٢١٥)، ومسلم (٤/ ١٨١٦، رقم: ٢٣٣٣). ومعنىٰ قوله: (صَلْصَلَة الجَرَس): صوته، ومعنىٰ (يَفْصِمُ عنِّي): يَذهَبُ عنِّي، ومعنىٰ قوله (فأعِي ما يقول): أي أَحْفَظُه وأَجْمَعُه في صَدْري. ينظر: إكمال المَعلم بفوائد مسلم (٧/ ٢٩٩-٣٠٠).

(٢) أخرجه الترمذي (٥/ ٣٢٦، رقم: ٣١٧٣)، وأحمد (١/ ٣٥٠- ٣٥١، رقم: ٢٢٣)، والنسائي في الكبرىٰ (٢/ ١٧٠، رقم: ١٤٤٣)، وقال النسائي: هٰذا حديث منكر، لا نعلم أحدًا رواه غير يونس بن سليم، ويونس بن سليم لا نعرفه، والله أعلم.

(٣) أخرجه مسلم (٣/ ١٣١٦، رقم: ١٦٩٠)، و(٤/ ١٨١٧، رقم: ٢٣٣٤)، ومعنىٰ (كُرِبَ لذلك) أي أصابه الكَرْبُ وهو الشِّدَّةُ، ومعنىٰ (تَرَبَّدَ وجهُه) أي تَغَيَّرَ لَوْنُهُ. ينظر: إكمال المعلم بفَوائد مسلم للقاضي عياض (٥/ ٥٠٦)، وشرح صحيح مسلم للنووي (١١/ ١٩٠)، و(١٥/ ٨٩).

(٤) أخرجه البخاري (٣/ ١٧٣، رقم: ٢٦٦١)، ومسلم (٤/ ٢١٢٩، رقم: ٢٧٧٠).

(٥) ينظر: لسان العرب (٢/ ٤١٠).

(٦) أخرجه البخاري (١/ ٧، رقم: ٢).

ومن آثار الوحي المَحْسوسة ما جاء عن زيد بن ثابت أنه قال: «إني لقاعدٌ إلىٰ جنب النبي ﷺ يومـًا، إذ أُوحِيَ إليه، وغَشِيَتْهُ السَّكِينَةُ، ووقع فَخِذُهُ علىٰ فَخِذِي إذ غَشِيَتْهُ السَّكِينَةُ»، قال زيد: «فلا والله ما وجدتُ شيئـًا قَطُّ أَثْقَلَ من فَخِذِ رسول الله ﷺ»[١].

وفي رواية البخاري[٢]: «فأنزل الله علىٰ رسوله ﷺ، وفَخِذُهُ علىٰ فَخِذِي، فَثَقُلَتْ عَلَيَّ حتىٰ خِفْتُ أَنْ تُرَضَّ فَخِذِي، ثم سُرِّيَ عنه».

إنَّ ظاهرةَ الوحي تكرَّرت مرَّاتٍ كثيرةٍ، في حياة رسول الله ﷺ بعد بِعْثَتِهِ، وكانت تلك الحالةُ معروفةً للصحابة، وكانت تتَّسم لحظاتُها بالسكينةِ والوَقار، وكان الصحابة يُطْرِقُونَ في وقتها بانتظار سماع الوحي الجديد، فقد روى الإمام مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: «وكان إذا جاء الوحي لا يَخفىٰ علينا، فإذا جاء فليس أحدٌ يَرفَعُ طَرْفَهُ إلىٰ رسول الله ﷺ، حتىٰ يَنْقَضِيَ الوَحْيُ»[٣].

(١) أخرجه أبو داود (٤/ ١٦١، رقم: ٢٥٠٧)، وأحمد (٣٥/ ٥١٨، رقم: ٢١٦٦٤)، والطبراني في المعجم الكبير (٥/ ١٣٢، رقم: ٤٨٥٢)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٨١) وقال: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وهو صحيح كما قال، والله أعلم.

(٢) صحيح البخاري (٤/ ٢٥، رقم: ٢٨٣٢)، و(٦/ ٤٧، رقم: ٤٥٩٢).

(٣) صحيح مسلم (٣/ ١٤٠٥، رقم: ١٧٨٠).

المبحث الثاني
نزول القرآن الكريم

المطلب الأول: بدء نزول القرآن ومدته

(١) بَدْءُ نزول القرآن

كان أول ما بُدِئَ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم، وحُبِّبَتْ إليه الخلوة، فكان يخلو بغار حراء الليالي ذوات العدد، حتىٰ فَجِئَهُ الحَقُّ وهو في غار حِرَاء، فَجَاءَهُ المَلَكُ، فقال: ٱقْرَأْ، قال ما أنا بقارئ، ثم قال له الملك بعد أنْ كَرَّرَ عليه ذلك الطلب: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾[العلق: ١-٥]، فَرَجَعَ بها رسول الله ﷺ إلىٰ بيته، وهو يَرْجُفُ فُؤَادُهُ، ودَخَلَ علىٰ خديجة فَطَمْأَنَتْهُ، وفَتَرَ الوحي بعد تلك الحادثة مدة من الزمان، حتىٰ تَشَوَّقَ النبيُّ ﷺ لرؤية جبريل مرة أخرىٰ، فَنَزَلَ عليه بأول سورة المدثر: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ﴾، ثم تتابع نزول جبريل عليه بالقرآن بعد ذلك[١].

وكان نزول جبريل علىٰ رسول الله ﷺ بِحِرَاء يوم الاثنين في ليلة القدر من شهر رمضان، ورسول الله ﷺ يومئذ ابن أربعين سنة، قال أبو شامة المقدسي: « قال الله تعالىٰ: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾[البقرة: ١٨٥]، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَـٰرَكَةٍ﴾[الدخان: ٣]، وقال جَلَّتْ قدرته: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ [القدر: ١]، فليلةُ القدر هي الليلةُ المباركةُ، وهي في شهر رمضان، جمعًا بين هؤلاء الآيات، إذ لا منافاة بينها، فقد دلَّت الأحاديث الصحيحة علىٰ أنَّ ليلةَ القدر في شهر رمضان»[٢].

---

(١) ينظر: صحيح البخاري (١/ ٧ ، و٦/ ١٧٣ ، و٩/ ٢٩) ، رقم الحديث (٣ ، و٤٩٥٣ ، و٦٩٨٢) ، وصحيح مسلم (١/ ١٣٩، و١٤٣).

(٢) المرشد الوجيز (٩)، وينظر: البرهان للزركشي (١/ ٢٢٨)، والإتقان للسيوطي (١/ ٢٦٨).

(٢) مدة نزول القرآن:

نزل القرآنُ الكريمُ على رسول الله ﷺ مُفرَّقًا، وبَيْنَ أول ما نزل منه، وهو الآيات الخمس من أول العلق، ونزول آخر آيةٍ منه، **ثلاثٌ وعشرون سنةً**، في قول جمهور العلماء[١]، وقد أخرج البخاري في صحيحه عن ابن عباس قال: «أُنزِل على رسول الله ﷺ وهو ابن أربعين، فمكثَ بمكة ثلاث عشرة سنة، ثم أُمِرَ بالهجرة فهاجر إلى المدينة، فمكَثَ بها عشر سنين، ثم تُوفي ﷺ»[٢]، وفي رواية: «ومات وهو ابن ثلاث وستين»[٣].

وسبب الاختلاف في مدة نزول القرآن الكريم هو اختلاف المؤرخين في مدة نزول القرآن الكريم على النبي ﷺ في مكة، فقيل: عشر سنين، وقيل: ثلاث عشرة سنة، وقيل: خمس عشرة، أما المدينة فليس ثمة خلاف في أنه أقام بها عشر سنين، من لدن هجرته حتى وفاته ﷺ[٤].

المطلب الثاني: نزول القرآن منجمًا، والحكمة من التنجيم.

(١) تنزلات القرآن

جاء في عدد من الآيات أن القرآن الكريم مَحفوظٌ في أُمِّ الكتاب، قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ﴾[الزخرف:٤]، وأم الكتاب: أصل الكتاب، وهو اللوح المحفوظ في السماء، قال الله تعالى: ﴿هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝٢١ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ﴾ [البروج][٥]

وقد وصف الله تعالى القرآن بأنه (تنزيل) حيث قال: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٩٢ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ۝١٩٣ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ۝١٩٤ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ﴾[الشعراء]، وكلمةُ (التنزيل) تَعْنِي هُبُوطُ الشَّيْءِ مِن عُلُوٍّ[٦].

---

(١) ينظر: البرهان للزركشي (١/ ٢٣٢)، والإتقان للسيوطي (١/ ٢٧٢).

(٢) صحيح البخاري (٥/ ٤٥، رقم: ٣٨٥١)، وينظر: صحيح مسلم (٤/ ١٨٢٦، رقم: ٢٣٥١).

(٣) صحيح البخاري (٥/ ٥٧، رقم: ٣٩٠٢).

(٤) ينظر: المرشد الوجيز لأبي شامة (٢٩)، والبرهان للزركشي (١/ ٣٢٣).

(٥) ينظر: تفسير الطبري (٢٤/ ٣٤٨)، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/ ٤٠٥)، وتفسير الرازي (٢٩/ ٤٣٠).

(٦) ينظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٥/ ٤١٧)، ولسان العرب لابن منظور (١١/ ٦٥٦).

وقد ٱخْتُلِفَ في تنزُّلات القرآن على أقوال، أشهرها اثنان[١]:

الأول: أنه نزل إلى سماء الدنيا ليلة القدر جملةً واحدةً، ثم نزل بعد ذلك مُنجَّمًا في عشرين سنة، أو في ثلاث وعشرين، أو خمس وعشرين، على حسب الاختلاف في مدة إقامته بمكة بعد النبوة.

قال ابن عباس ﵄: «أُنْزِلَ القرآنُ كلُّه جملةً واحدةً في ليلة القدر في رمضان، إلى السماء الدنيا، فكان الله إذا أراد أنْ يُحْدِثَ في الأرض شَيئًا أنزله منه، حتى جمعه»[٢].

والثاني: أنه ابْتُدِئَ إنزالُه في ليلة القدر، ثم نزل بعد ذلك مُنجَّمًا في أوقاتٍ مُختلفة، وبه قال عامر الشعبي[٣].

وقال ابن حجر: إنَّ القولَ المعتمدَ الصحيحَ هو أنَّ القرآنَ نزلَ جملةً واحدةً من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا، ثم أُنزِلَ بعد ذلك مُفرَّقًا[٤].

(٢) نزول القرآن جُمْلَةً، والحكمة منه:

تقدَّم أنَّ جمهورَ العلماء يذهبون إلى أنَّ القرآنَ الكريم أُنزِلَ جملةً واحدةً إلى السماء الدنيا، ثم أُنزِلَ مُفرَّقًا في ثلاث وعشرين سنة.

قال العلماء: **في إنزاله جملةً إلى السماء الدنيا «تفخيمٌ لأمره وأَمْرِ مَنْ أُنْزِلَ عليه،** وذلك بإعلام سكَّان السماوات السبع أنَّ هذا آخِرُ الكتب، المُنَزَّلُ على خاتم الرسل لأشرفِ الأمم، قد قَرَّبْنَاهُ إليهم لِنُنَزِّلَهُ عليهم، ولولا أنَّ الحكمةَ الإلهيةَ ٱقْتَضَتْ وصولَه إليهم مُنجَّمًا بحسب الوقائع لَهَبَطَ به إلى الأرض جُمْلَةً كسائر الكتب المُنزَّلة قبلَه، ولكنَّ الله تعالى بايَنَ بينه وبينها، فَجَمَعَ له الأمرين: إنزاله جملةً، ثم إنزاله مُفرَّقًا»[٥].

---

(١) ينظر: البرهان للزركشي (١/ ٢٢٨)، والإتقان للسيوطي (١/ ٢٦٨).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٣/ ٤٤٧، رقم: ٢٨١٨)، والطبراني في المعجم الكبير (١٢/ ٣٢، رقم: ١٢٣٨٢)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٢٢٣)، وقال الحاكم: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٣) ينظر: تفسير الطبري (٢٤/ ٥٣١)، والمرشد الوجيز لأبي شامة (٢٠).

(٤) ينظر: فتح الباري (٩/ ٤).

(٥) المرشد الوجيز لأبي شامة (٢٤)، وينظر: جمال القراء للسخاوي (٦٧)، والبرهان للزركشي (١/ ٢٣٠)، والإتقان للسيوطي (١/ ٢٧٦).

(٣) نزول القرآن منجمًا، والحكمة منه:

لم ينزل القرآن الكريم على رسول الله ﷺ جملةً بمرةٍ واحدةٍ، وإنما نزل مُنجَّمًا، أي مُفرَّقًا، فكان جبريل عليه السلام ينزل بالسُّورة، أو الآيات، أو الآية، لمدة ثلاث وعشرين سنة[١]، وقد أثار المشركون مسألةَ نزول القرآن مُنجَّمًا في سلسلة مُعارضتهم الباطلة للنبي ﷺ، وتمنَّوا نزولَ القرآن جملةً واحدة، على نحو ما حكى القرآن ذلك في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا﴾ [الفرقان: ٣٢].

ولنزول القرآن مُنجَّمًا حِكَمٌ عظيمة، ذكر منها العلماء ما يأتي[٢]:

١- تثبيتُ قلبِ النبي ﷺ، وهو المقصود بقوله تعالى: ﴿لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾، فإنَّ الوحي إذا كان يتجدَّدُ في كلِّ حادثةٍ كان أقوى للقلب، وأشدَّ عناية بالمُرسَل إليه[٣].

٢- تيسير حفظِه وفَهمِه، وإذا كان الله تعالى قد تكفَّل لنبيِّه ﷺ بحفظ القرآن، فإنَّ أفراد المسلمين كانوا بحاجةٍ إلى التَّنجيم لكونهم أُمِّيِّين، وقد قال الله تعالى: ﴿وَقُرۡءَانٗا فَرَقۡنَٰهُ لِتَقۡرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكۡثٖ وَنَزَّلۡنَٰهُ تَنزِيلٗا﴾ [الإسراء: ١٠٦].

٣- التدرُّج في التَّشريع، وتربيةُ الأمة بتَرسيخِ الإيمان في النُّفوس، لتستجيب للأحكام الشرعية التي جاء بها الدِّين.

٤- مُسايرةُ الأحداث والوقائع التي تقعُ في عَصر النبوَّة.

٥- الدلالةُ على إعجاز القرآن، وأنه مِن عند الله تعالى، فقد جاءت مناسبات تأخر فيها نزول الوحي، وكان رسول الله ﷺ وأصحابه أحوج ما يكونون إلى ذلك.

---

(١) ينظر: الإتقان للسيوطي (١/ ٢٨٦).

(٢) ينظر: مناهل العرفان للزرقاني (١/ ٥٣-٦٢)، ودراسات في علوم القرآن الكريم للرومي (٢٢٧-٢٤٧)، والمحرر لمساعد الطيار (٧٦-٧٧).

(٣) ينظر: تفسير الطبري (١٩/ ٢٦٥)، والمرشد الوجيز لأبي شامة (٢٨)، والإتقان للسيوطي (١/ ٢٧٩-٢٨٠).

المطلب الثالث: أول ما نزل من القرآن وآخر ما نزل

(١) أول ما نزل من القرآن

أول ما نزل من القرآن في رأي أكثر العلماء: هو أول سورة العلق: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ﴾ [العلق].

واستدلوا بما ورد في صحيح البخاري وغيره عن نزول جبريل عليه السلام على النبي ﷺ في غار حِرَاء لأول مرة، وإلقاء الآيات الخمس مِن أولِ سورةِ العلق عليه، فرجع من فَورِه إلى بيته، وقَطَعَ خَلوتَه[١].

وذهب بعض العلماء إلى أنَّ أولَ ما نزل من القرآن: سورةُ المُدَّثر.

واستدلوا بما رُوِيَ عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه: أنَّ أولَ ما نزل من القرآن أولُ سورةِ المُدَّثر[٢].

قال الزركشي: « وجمع بعضهم بينهما بأنَّ جابراً سمع النبي ﷺ يذكر قصةَ بدء الوحي، فسمع آخرَها ولم يسمع أولَها، فتوهَّم أنها أولُ ما نزلت، وليس كذلك، نعم هي أول ما نزل بعد سورة: (اُقْرَأْ) وفترة الوحي»[٣].

وقيل: أول ما نزل سورة الفاتحة[٤]، وقيل: إنها أول سورة كاملة نزلت[٥].

قال ابن حجر: «والذي ذهب أكثر الأئمة إليه هو الأول»[٦].

---

(١) ينظر: صحيح البخاري (١/ ٧، رقم: ٣)، وصحيح مسلم (١/ ١٣٩، رقم: ١٦٠)، وتفسير الطبري (١٤/ ٥١٩-٥٢٢)، والبرهان للزركشي (١/ ٢٠٦)، والإتقان للسيوطي (١/ ١٥٨).

(٢) أخرجه البخاري (٦/ ١٦٢، رقم: ٤٩٢٤)، ومسلم (٦/ ١٤٤، رقم: ١٦١).

(٣) البرهان (١/ ٢٠٦).

(٤) ينظر: الإتقان للسيوطي (١/ ١٦٣).

(٥) ينظر: البرهان للزركشي (١/ ٢٠٨)، ودراسات في علوم القرآن الكريم للرومي (٢٥٢-٢٥٥).

(٦) فتح الباري (٨/ ٧١٤)، وينظر: الإتقان للسيوطي (١/ ١٦٣).

(٢) آخر ما نزل من القرآن:

هناك عدة أقوال في آخر ما نزل من القرآن:

فقيل: آخر ما نزل من القرآن قولُه تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٢٧٨].

وقيل: قوله تعالىٰ: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٨١].

وقيل: قوله تعالىٰ: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي ٱلْكَلَٰلَةِ﴾ [النساء: ١٧٦].

وقيل: قوله تعالىٰ: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ ...﴾ [التوبة ١٢٨] إلىٰ آخر السورة.

وقيل: إنَّ آخرَ سورةٍ نزلت المائدةُ، وقيل: سورة النصر(١).

وعلَّل بعضُ العلماء تَعَدُّدَ الأقوالِ في هٰذه المسألة، فقال القاضي أبو بكر الباقلاني في الانتصار: « وهٰذه الأقوال ليس في شيءٍ منها ما رُفِعَ إلى النبيِّ ﷺ، ويجوز أنْ يكون قالَه قائلُه بضَربٍ من الاجتهاد وتغليبِ الظَّنِّ، وليس العلمُ بذٰلك من فرائضِ الدين... ويَحْتَمِلُ أَنَّ كُلًّا منهم أخبَرَ عن آخر ما سمعه من رسول الله ﷺ في اليوم الذي مات فيه أو قبل مرضه بقليل، وغيره سمع منه بعد ذٰلك، وإنْ لم يَسمَعْه هو لمُفارقته له ونزول الوحي عليه بقرآن بعده...»(٢).

وقال البيهقي في دلائل النبوة: « هٰذا الاختلاف يرجع - والله أعلم - إلىٰ أنَّ كلَّ واحدٍ منهم أخبَرَ بما عنده من العلم، أو أراد أنَّ ما ذَكَرَ مِن أواخر الآيات التي نَزَلَتْ»(٣).

---

(١) ينظر: البرهان للزركشي (١/ ٢٠٩-٢١٠)، والإتقان للسيوطي (١/ ١٧٦-١٨٧)، ودراسات في علوم القرآن الكريم للرومي (٢٥٦-٢٦٤).

(٢) ينظر: الانتصار (١/ ٢٤٦)، والبرهان للزركشي (١/ ٢١٠)، والإتقان للسيوطي (١/ ١٨٤).

(٣) دلائل النبوة (٧/ ١٣٩).

ولمعرفة أول ما نزل من القرآن وآخر ما نزل منه القرآن فوائد، نذكر منها باختصار ما يأتي[١]:

١. تمييز الناسخ والمنسوخ من الآيات.

٢. معرفة تاريخ التشريع الإسلامي، وتدرُّجه الحكيم في التشريع.

٣. الاستعانة بمعرفة ذلك في تفسير القرآن الكريم.

٤. معرفة السيرة النبوية وترتيب أحداثها.

٥. إظهار عناية الصحابةِ ومن بعدهم من العلماء بالقرآن الكريم.

(٣) أول ما نزل من القرآن وآخر ما نزل منه بحسب الموضوعات:

بَحَثَ العلماء في أول ما نزل من القرآن وآخره في موضوعات مخصوصة، وهو مبحَثٌ يرتبط بتاريخ نزول القرآن الكريم من جهة، وبتشريع الأحكام الشرعية من جهة أخرىٰ.

ومن تلك الموضوعات: الخمر، والربا، والجهاد.

وسوف نقف هنا عند الآيات المُتعلِّقة بموضوع الخمر[٢]:

هناك ثلاث آيات في القرآن الكريم تتعلق ببيان حكم الخمر، وقد يترتَّب علىٰ عدم معرفة ما نزل منها أولاً وما نزل آخراً، خطأٌ في استنباط الحكم الخاصِّ بها، وهٰذه الآيات هي:

الآية الأولىٰ: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلِ ٱلْعَفْوَ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾[البقرة: ٢١٩].

الآية الثانية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا۟ مَا تَقُولُونَ﴾ [النساء:٤٣].

---

(١) ينظر تفصيل ذلك: دارسات في علوم القرآن الكريم للرومي (٢٧٨-٢٧٩).

(٢) ينظر: المصدر السابق (٢٦٦-٢٧٧).

الآية الثالثة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾[المائدة: ٩٠].

وقد أشار العلماء إلىٰ أنَّ آيةَ المائدة نَسَخَتِ الآياتِ السابقةَ الواردةَ في سورة البقرة وسورة النساء، وسورة المائدة مِن آخر ما نَزَلَ مِن القرآن، والمُتأخِّر يَنسخَ المُتقدِّم[1].

(١) ينظر: تفسير الطبري (٤/ ٣٣٠-٣٣٦)، و(١٠/ ٥٦٥-٥٦٦)، والناسخ والمنسوخ للنحاس (١٤٧-١٤٨).

المبحث الثالث
أسباب نزول القرآن

نَزَلَ القرآنُ الكريم مُفرَّقًا في ثلاث وعشرين سنة، وكان نزول القرآن مُرتبطًا بالمَشيئة الإلهية، وليس لرسول الله ﷺ إلا التَّلقي والحفظ والتَّبليغ، لكن من الآيات أو السُّور ما ارتبط نزولُه بسؤالٍ أو حادثةٍ، لذا قَسَّمَ العلماء آيات القرآن بالنسبة إلىٰ ارتباطِ نزولِها بسؤالٍ أو حادثةٍ علىٰ قِسمَين، قال الجعبري: «نزول القرآن علىٰ قسمَين: قِسْمٍ نَزَلَ ابتداءً، وقَسْمٍ نَزَلَ عَقِبَ واقعةٍ أو سؤالٍ»[١]، وهو ما يُعرف بأسباب النُّزول.

(١) تعريف أسباب نزول القرآن:

سبب النُّزول: هو ما نَزَلَتِ الآية أو الآيات مُتَحَدِّثَةً عنه أو مُبَيِّنَةً لحكمه أيامَ وقوعه[٢].

قال السيوطي: «والذي يتحرَّر في سببِ النُّزول: أنه ما نزلت الآية أيام وقوعه، ليخرج ما ذكره الواحدي في سورة الفيل مِن أنَّ سببَها قصةُ قدومِ الحَبشة به، فإنَّ ذلك ليس من أسباب النُّزول في شيءٍ، بل هو من باب الإخبار عن الوقائع الماضيةِ، كذكر قصة قوم نوح وعاد وثمود وبناء البيت ونحو ذلك»[٣].

وقد عَبَّرَ علماءُ السلف من الصحابة والتابعين - ومن جاء بعدهم من العلماء والدارسين - عن الواقعةِ التي تَنزِلُ عَقِبَها الآيةُ أو الآياتُ، بعبارة (سبب النُّزول)، فيقولون: نزلت هذه الآية بسبب كذا، وهذه الأسباب في الواقع «ما هي إلا مناسباتٌ، لا أسبابٌ حقيقيةٌ، وإنْ سُمِّيَتْ أسبابًا علىٰ طريق التَّسامُحِ والتَّجوُّز»[٤].

---

(١) ينظر: الإتقان للسيوطي (١/ ١٨٩).

(٢) ينظر: مناهل العرفان للزرقاني (١/ ١٠٦)، والمحرر في أسباب النزول للمزيني (١/ ١٠٤-٢٠٥).

(٣) الإتقان (١/ ٢٠٨-٢٠٩)، ولباب النقول (٤).

(٤) التفسير ورجاله لمحمد الفاضل بن عاشور (٢٠)، وينظر: محاضرات في علوم القرآن لغانم قدوري الحمد (٣٥-٣٦).

(٢) صِيَغ ورودِ أسباب النُّزول:

الروايات المَنقولة في سبب النُّزول نوعان:

١. بعضها يُصَرِّحُ فيه بأنَّ الآيةَ نزلت بسبب كذا.

٢. وبعضها يأتي بصيغة: أنَّ هٰذه الآية نَزَلَتْ في كذا، أي: يُراد بها كذا.

قال ابن تيمية: « وقولهم: نزلت هٰذه الآية في كذا، يُراد به تارةً أنه سببُ النُّزول، ويُراد به تارةً أنَّ ذٰلك داخل في الآية وإنْ لم يكن السبب، كما تقول: عُنِيَ بهٰذه الآية كذا»[(١)].

وقال الزَّركشي: «وقد عُرِفَ مِن عادة الصحابة والتابعين أنَّ أحدهم إذا قال نزلت هٰذه الآية في كذا فإنه يُريد بذٰلك أنَّ هٰذه الآيةَ تتضَّمن هٰذا الحكم لا أنَّ هٰذا كان السبب في نزولها»[(٢)].

فمن النوع الأول: ما رواه البخاري ومسلم، عن عبد الله بن مسعود ﷺ، أنه قال: «بَيْنَا أنا مع النبي ﷺ في حَرثٍ، وهو مُتَّكِئٌ على عَسيب، إذ مَرَّ اليهود، فقال بعضهم لبعض: سلُوه عن الرُّوح، فسألوه، فأمسك النبي ﷺ فلم يَرُدَّ عليهم شيئًا، فعلمتُ أنه يوحىٰ إليه، فقمتُ مَقامي، فلمَّا نزل الوحي قال: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥]»[(٣)]. فهٰذا بيان صريح لسبب النُّزول.

ومن النوع الثاني: قول مجاهد بن جبر المكِّي في الآيات التي في أول سورة البقرة: «أربع آيات من أول هٰذه السُّورة نزلت في المؤمنين، وآيتان بعدها نزلت في الكافرين، وثلاث عشرة بعدها نزلت في المنافقين»[(٤)]، فهٰذا ليس بيانًا لسبب النُّزول، وإنما هو توضيح للمعنىٰ، فهو يريد أنها نزلت في نَعتِ المؤمنين والكافرين والمنافقين.

---

(١) مقدمة في أصول التفسير (١٦).

(٢) البرهان (١/ ٣١-٣٢)، وينظر: الإتقان للسيوطي (١/ ٢٠٨).

(٣) صحيح البخاري (٦/ ٨٧، رقم: ٤٧٢١)، وصحيح مسلم (٤/ ٢١٥٢، رقم: ٢٧٩٤).

(٤) ينظر: تفسير الطبري (١/ ٢٣٩)، وأسباب نزول القرآن للواحدي (٢١)، ولباب النقول للسيوطي (٧)، والدر المنثور (له) (١/ ٥٩).

(٣) طرق معرفة أسباب النزول:

اعتنى العلماء ببيان طريقة معرفةِ سببِ النُّزول، وقالوا بأنه ليس فيه مَجالٌ للرأي والاجتهاد، وإنما سبيلُه سبيلُ الأحداث التأريخية، ومن ثَمَّ **فإنَّ لمعرفةِ سبب النُّزول طريقًا واحدًا، هو النقلُ الصحيحُ عن الصحابةِ الذين عاصروا تنزيلَ القرآن وشاهدوا الأحداث التي وقعت حينذاك.**

يقول الواحدي: «ولا يَحِلُّ القولُ في أسباب نزول الكتاب إلا بالرِّواية والسماع ممَّن شاهدوا التنزيلَ، ووقفوا على الأسباب، وبحثوا في علمها، وجَدُّوا في الطِّلَاب»[(١)].

وقد جعل العلماءُ قولَ الصحابيِّ في سببِ النُّزول حجةً ثابتةً بمَنزلةِ الحديثِ المَرفوع إلى النبي ﷺ، قال الإمام الحاكم النيسابوري: «فإنَّ الصحابيَّ الذي شَهِدَ الوحي والتنزيلَ، فأخبر عن آيةٍ من القرآن أنها نزلت في كذا وكذا، فإنه حديثٌ مسند»[(٢)].

وكان الصحابة رضي الله عنهم يذكرون أسبابَ النُّزول ويَنقلونها إلى التابعين، كما روى البخاري عن نافع مولى عبد الله بن عمر أنه قال: «كان ابن عمر رضي الله عنهما إذا قرأ القرآن لم يتكلم حتى يفرغ منه، فأخذتُ عليه يومًا [أي: أمسكت المصحف، وهو يقرأ عن ظهر قلب] فقرأ سورةَ البقرة حتى انتهى إلى مكان قال: تدري فيمَ أُنزلت؟ قلت: لا، قال: أُنزلت في كذا وكذا، ثم مضى»[(٣)].

(٤) فوائد معرفة أسباب النُّزول:

لمعرفة أسباب النزول فوائدُ تتعلق بتفسير الآيات، واستنباط الأحكام الشرعية منها، ومن تلك الفوائد[(٤)]:

---

(١) أسباب نزول القرآن (٨).

(٢) معرفة علوم الحديث (٢٠).

(٣) صحيح البخاري (٦/ ٢٩، رقم: ٤٥٢٦).

(٤) ينظر: الإتقان للسيوطي (١/ ١٩٠-١٩٥)، ودراسات في علوم القرآن الكريم للرومي (١٥٣-١٦٢)، والمحرر في أسباب نزول القرآن للمزيني (١/ ٢٦-٣٧).

١. معرفة سبب نزول الآية يُعِينُ على فهم الآية وتفسيرها التفسير الصحيح.

قال الواحدي وهو يتحدث عن أسباب النُّزول: «هي أوفى ما يجب الوقوف عليها، وأولى ما تُصرفُ العنايةُ إليها، لامتناعِ تفسير الآيةِ دون الوقوفِ على قصَّتها وبيانِ نزولها»[(١)]. وقال ابن تيمية: «معرفةُ سببِ النُّزول يُعِينُ على فهم الآية، فإنَّ العلمَ بالسبب يُورثُ العلمَ بالمُسَبِّبِ»[(٢)].

وأمثلة ذلك كثيرة، منها: قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓاْ﴾ الآية [المائدة:٩٣]، فقد تَأَوَّلَ هذه الآية قدامةُ بنُ مَظعون الجُمَحي ﷺ[(٣)]، واحتجَّ بها على شربه الخمرَ، فحدَّه عمرُ ﷺ في خلافته[(٤)]. وفي رواية أنَّ عمر ﷺ استشار الصحابة في ما احتجَّ به قُدامةُ، فقال ابن عباس ﷺ: «إنَّ هؤلاء الآيات أُنْزِلَتْ عذراً للماضين، وحُجَّةً على الباقين»[(٥)].

٢. معرفة وجه الحِكمةِ الباعثة على تشريع الحكم.

٣. معرفة مَن نزلت الآية بعينه.

٤. تيسير حفظ الآيات وتذكُّرها، من خلال الربط بين ألفاظها وسببِ نزولها.

(٥) مسائل متعلقة بموضوع أسباب النزول:

١. قاعدة: العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب:

ترتبط أسبابُ النُّزول بسؤالٍ من شخص، أو حادثةٍ وقعت لشخصٍ معيَّنٍ أو لمجموعة أشخاص.

---

(١) أسباب نزول القرآن (٨).

(٢) مقدمة في أصول التفسير (١٦).

(٣) نسب الزركشي في البرهان (١/ ١٢٢) الرواية إلى عثمان بن مظعون، وتابعه السيوطي على ذلك في الإتقان (١/ ١٩١-١٩٢)، وإنما هي عن أخيه قدامة بن مظعون ﷺ.

(٤) ينظر: مصنف عبد الرزاق (٩/ ٢٤٠، رقم: ١٧٠٧٦)، وتاريخ المدينة لابن شبة (٣/ ٨٤٢)، والسنن الكبرى للبيهقي (٨/ ٥٤٧، رقم: ١٧٥١٦)، وتفسير ابن عطية (٢/ ٢٣٥).

(٥) ينظر: شرح مشكل الآثار للطحاوي (١١/ ٢٤٧)، والمستدرك للحاكم (٤/ ٣٧٥)، والسنن الكبرى للبيهقي (٨/ ٥٥٦، رقم: ١٧٥٤٣)، والدر المنثور للسيوطي (٣/ ١٦١).

وقد اختلف أهل الأصول: هل العبرة بعموم اللفظ أو بخصوص السبب؟ والأول أصحُّ، وعليه جمهور العلماء، فقد قالوا: العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب[١].

قال النووي في المجموع: «والعمل بعموم اللفظ أولىٰ من خصوص السبب»[٢].

مثال ذلك ما رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما عن عبد الله بن معقل، قال: (قَعَدْتُ إلىٰ كعب بن عُجْرَةَ ﷺ وهو في المسجد، فسألته عن هٰذه الآية: ﴿فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾ [البقرة: ١٩٦]؟ فقال كعب ﷺ: نَزَلَتْ فِيَّ، كان بِي أَذًى من رأسي، فَحُمِلْتُ إلىٰ رسول الله ﷺ والقَمْلُ يتناثر علىٰ وجهي، فقال: «ما كنتُ أرىٰ أنَّ الجهد بلغ منك ما أَرَىٰ، أَتَجِدُ شاة؟» فقلت: لا، فَنَزَلَتْ هٰذه الآية: ﴿فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾، قال: «صومُ ثلاثة أيام، أو إطعامُ ستة مساكين نِصْفَ صاع، طعامًا لكل مسكين»، قال: فنزلت فِيَّ خاصة، وهي لكم عامَّة)[٣].

٢. تعدُّد الروايات في أسباب النُّزول، والموقف منه:

قد تتعدَّد الروايات في أسباب نزول آيةٍ مُعيَّنةٍ أو مجموعةِ آياتٍ، وكلُّ رواية تَذْكُرُ سببًا غيرَ السبب الذي تذكره الروايةُ الأخرىٰ، فيَلزمُ حينئذٍ النظرُ إلى العبارة الواقعة في الرواية:

- فإنْ عَبَّرَ أحدهم بقوله: «نزلت في كذا»، وقال الآخر: «نزلت في كذا»، وذكر أمراً آخر، فإنَّ هٰذا يُرادُ به التفسير، لا ذكر سبب النُّزول، فلا مُنافاة بين قوليهما إذا كان اللفظ يتناولهما.

- وإنْ عَبَّرَ واحدٌ بقوله: «نزلت في كذا»، وصرَّح الآخر بذكر سببٍ خلافهِ، فهو المُعتمد، والآخرُ استنباطٌ[٤].

(١) ينظر: درة التنزيل للخطيب الإسكافي (١/ ٤٦٧)، والمحصول للرازي (٣/ ١٢٥)، والبرهان للزركشي (١/ ٣٢)، والإتقان للسيوطي (١/ ١٩٦).

(٢) المجموع (١٧/ ١٥٢).

(٣) ينظر: صحيح البخاري (٦/ ٢٧)، رقم الحديث (٤٥١٧)، وصحيح مسلم (٢/ ٨٦١)، رقم الحديث (١٢٠١).

(٤) ينظر: الإتقان للسيوطي (١/ ٢١٠).

- وإذا جاءت روايتان في نازلٍ واحدٍ من القرآن، وذَكَرَتْ كُلٌّ من الرِّوايتين سببًا صريحًا غير ما تذكره الأخرىٰ، نُظِرَ فيهما، والبحث في طريقةٍ للجمع بينهما، أو إسقاط إحداهما[١]، عن طريق الترجيح بين الروايتين.

مثال ذلك: ما أخرجه الشيخان وغيرها، عن جندب ﷺ قال: «اشْتَكَى النبي ﷺ، فلم يَقُمْ ليلةً أو ليلتين، فأتَتْه امرأةٌ، فقالت: يا محمد، ما أرىٰ شيطانك إلا قد تَرَكَكَ، فأنزل الله: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾ [الضحى][٢]».

وأخرج الطبراني، عن حفص بن سعيد، عن أمه، عن أمها - وكانت خادم رسول الله ﷺ: أنَّ جَرْواً دخل بيت النبي ﷺ، فدخل تحت السَّرير، فمات، فمكث النبي أربعة أيام لا ينزل عليه الوحي،... فأنزل الله: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾[٣].

قال ابن حجر في شرح صحيح البخاري: «قصة إبطاء جبريل بسبب الجرو مشهورةٌ، لكن كونها سبب نزول الآية غريب، وفي إسناده مَن لا يعرف، فالمعتمد ما في الصحيح»[٤].

- وإذا لم يمكن الجمع بين الرِّوايات ولا الترجيح، وكانت كلها صحيحةً، فقد حملها بعض العلماء علىٰ تكرار النُّزول. قال الزركشي: «وقد ينزل الشيءُ مرَّتَين تعظيمًا لشأنه»[٥].

وقال الدكتور خالد بن سليمان المزيني: «إني لم أجد شيئًا من كتاب الله قد تكرَّر نزولُه، وما ذكره بعض العلماء من الأمثلة في هذا لا يثبت عند المناقشة العلمية، ولعل الذي حملهم على القول بهذا أنَّ أسبابَ النُّزول لم تنلْ حظَّها من التحقيق والتَّدقيقِ روايةً ودِراية»[٦].

---

(١) ينظر: مناهل العرفان للزرقاني (١/ ١١٦)، والمحرر في أسباب نزول القرآن للمزيني (١/ ١٤٢).
(٢) صحيح البخاري (٦/ ١٨٢، رقم: ٤٩٨٣)، وصحيح مسلم (٣/ ١٤٢٢، رقم: ١٧٩٧).
(٣) المعجم الكبير للطبراني (٢٤/ ٢٤٩، رقم: ٦٣٦).
(٤) فتح الباري (٨/ ٧١٠).
(٥) البرهان (١/ ٢٩).
(٦) المحرر في أسباب نزول القرآن (٢/ ١١٠٩).

(٦). أهم المؤلفات في أسباب النُّزول:

كَثُرَتِ المؤلفات في أسباب النُّزول قديمًا وحديثًا[١]، ومن أشهرها:

أ- المؤلفات القديمة:

١. أسباب نزول القرآن، لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي (٤٦٨هـ).

٢. العُجاب في بيان الأسباب، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ).

٣. لُباب النقول في أسباب النُّزول، لجلال الدين السيوطي (٩١١هـ).

ب- ومن أشهر المؤلفات الحديثة:

١. تسهيل الوصول إلى معرفة أسباب النُّزول، تأليف خالد بن عبد الرحمٰن العِكّ.

٢. أسباب النُّزول وأثرها في بيان النصوص، تأليف د. عماد الدين محمد الرشيد.

٣. المحرر في أسباب نزول القرآن، تأليف د. خالد بن سليمان المزيني.

(١) ينظر: العجاب لابن حجر (٨٠-٨٤)، والمحرر في أسباب نزول القرآن الكريم للمزيني (١/ ٤١-٤٢).

المبحث الرابع
المكي والمدني

اُعْتَنَى العلماء بالقرآن منذ عصر الصحابة والتابعين بتتبُّع أماكن نزول السُّور القرآنية وزمان نزولها، وقد قسموا القرآن بحسب زمان النُّزول أو مكانه إلى: مكِّيٍّ ومدنيٍّ.

(١) تعريف المكِّي والمدني:

المكِّي لغةً: المَنسوب إلى مكَّة، والمدني: المنسوب إلى المدينة. وفي تعريفهما اصطلاحًا ثلاثة أقوال[١]:

القول الأول: المكِّي ما نَزَلَ قبل الهجرة، والمدني ما نزل بعدها، بقطع النظر عن مكان النُّزول.

القول الثاني: المكِّي ما نَزَلَ في مكة ولو بعد الهجرة، والمدني ما نزل في المدينة.

القول الثالث: المكِّي ما نَزَلَ خطابًا لأهل مكة، والمدني ما نزل خطابًا لأهل المدينة.

والراجح من هذه الأقوال: هو القول الأول، قال ابن حجر: «الذي وقع عليه الاتفاق في الاصطلاح بالمكِّي والمدني أنَّ المكِّيَّ ما نزل قبل الهجرة، والمدني ما نزل بعد الهجرة»[٢].

(٢) خصائص المكِّي والمدني:

لَاحَظَ العلماء عدداً من الخصائص الموضوعية لكلٍّ من المكِّي والمدني في القرآن الكريم.

---

(١) ينظر: البرهان للزركشي (١/ ١٨٧)، والإتقان للسيوطي (١/ ٤٥).
(٢) ينظر: العجاب (١/ ٢٤٣).

فمن خصائص السُّور المكِّية ومميزاتها[١]:

١. تأسيسُ العقيدة الإسلامية في النفوس بالدعوة إلىٰ عبادة الله وحده، والإيمان برسالة محمد ﷺ، وباليوم الآخر، وإبطال المُعتَقَدات الوَثنيةِ الجاهليةِ وعبادةِ غير الله، وإيراد الحجج والبراهين علىٰ ذٰلك.

٢. تشريعُ أصولِ العبادات والمعاملات والآداب والفضائل العامة.

٣. الاهتمامُ بتفصيل قصص الأنبياء والأمم السابقة، ومواقف أممهم منهم، وما نزل بالمكذِّبين من العذاب.

ومن خصائص السُّوَر المدنية ومميزاتها [٢]:

١. تقريرُ الأحكام التشريعية للعبادات والمعاملات والحدود والفرائض وأحكام الجهاد وغيرها في الغالب.

٢. الحديثُ عن المنافقين، وبيان طبائعهم، وكشف أسرارهم، وفضح مخططاتهم للكيد للمسلمين.

٣. كَشفُ سرائر أهل الكتاب، وإبطالُ عقائدهم، وبيان تحريفهم لديانتهم، ودعوتُهم إلى الإسلام بالحُجَّةِ والدليلِ والبرهان.

٤. الغالبُ على الآيات والسُّور المدنية بَسْطُ العقائد الإسلامية والأحكام التشريعية، فقد كان أهل المدينة مسلمين يُقبِلون علىٰ سماع القرآن ويؤمنون به.

(٣) الضوابط الأسلوبية للسُّور المكِّية والمدنية:

لاحظ العلماء بالقرآن تميُّزَ السُّور المكِّية عن السُّور المدنية بجملة ضوابط أسلوبية وميزات موضوعية، وقد أدرك تلك الضوابطَ والميزات العلماءُ بالقرآن من الصحابة ومن جاء بعدهم. ومنها:

---

(١) ينظر: دراسات في علوم القرآن الكريم للرومي (١٤٣).

(٢) ينظر: المصدر نفسه (١٤٥).

١. ما جاء عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: «ما كان ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ أُنْزِلَ بالمدينة، وما كان ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ فبمكة»[١].

٢. وعن عروة بن الزبير قال: «ما كان من حَدٍّ أو فريضةٍ فإنه أُنْزِلَ بالمدينة، وما كان من ذكر الأمم والعذاب فإنه أُنْزِلَ بمكة»[٢].

٣. كلُّ سورةٍ فيها (كَلَّا)، أو فيها سجدة، أو في أولها حروف مقطَّعة، فهي مكِّيةٌ، سوى البقرة وآل عمران، واخْتُلِفَ في الرَّعد[٣].

(٤) طرق معرفة المكِّي والمدني:

الأصل في معرفة كلٍّ من المكِّي والمدني النقلُ والسماعُ من الصحابة الذين عاشوا في وقت التنزيل، شأنه في ذلك شأن الوقائع التاريخية، لكنَّ العلماءَ عَزَّزوا الروايةَ بالقياس من خلال دراسةِ خصائص كلٍّ من السُّور المكِّية والمدنية وموضوعاتها.

فصار لمعرفةِ كلٍّ من المكِّي والمدني طريقان، قال الجعبري: «لمعرفة المكِّي والمدني طريقان: سماعي، وقياسي»[٤].

فالطريق السَّماعي: سبيلُه الروايةُ عن الصحابة الذين عاصروا التنزيل[٥].

والطريق القياسي: يكون من خلال مجموعة ضوابط استخلصها العلماء في كلٍّ من السُّور المكِّية والسُّور المدنية، تتعلَّق بالأسلوب والموضوعات، تقدَّم الحديث عنها.

---

(١) ينظر: مصنف ابن أبي شيبة (٦/ ١٤٠، رقم: ٣٠١٤٢)، والمستدرك للحاكم (٣/ ١٨)، والبيان في عد آي القرآن للداني (٣٧٤-٣٧٥).

(٢) ينظر: فضائل القرآن لأبي عبيد (٣٦٧)، وفهم القرآن ومعانيه للحارث المحاسبي (٣٩٤)، والبيان في عد آي القرآن للداني (٣٧٥).

(٣) ينظر: الكامل للهذلي (١/ ١٤٨)، وجمال القراء للسخاوي (٣٣٧)، والبرهان للزركشي (١/ ١٨٩)، والإتقان للسيوطي (١/ ١٠٩).

(٤) ينظر: حسن المدد (٢٨٨)، والبرهان للزركشي (١/ ١٨٩)، والإتقان للسيوطي (١/ ١٠٨).

(٥) ينظر: الطبقات الكبرىٰ لابن سعد (٢/ ٣٧١)، والانتصار للباقلاني (١/ ٢٤٧)، والبرهان للزركشي (١/ ١٩١)، والإتقان للسيوطي (١/ ٤٧).

(٥) الآيات المكِّية في السُّور المدنية، والآيات المدنية في السور المكِّية:

نزل القرآن الكريم مُفرَّقًا في ثلاث وعشرين سنة، كما تقدمت الإشارة إلى ذلك، وهاجر رسول الله ﷺ ولمَّا يكتملْ نزول بعض السُّور، فدخلت بعض الآيات المكية في السُّور المدنية، وبعض الآيات المكية في السور المدنية[١].

مثال ذلك سورة الأعراف مكِّية، إلا ثلاث آيات، من قوله تعالى: ﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ...﴾ [١٦٣]، إلى آخر الآيات الثلاث[٢].

وسورة المائدة مدنية، ونزلت: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[٣] في عرفة، وهي بمكة[٣].

(٦) فوائد معرفة المكِّي والمدني:

لدراسة موضوع المكِّي والمدني فوائدُ في استنباط الأحكام وفي تفسير القرآن، ومن تلك الفوائد[٤]:

١. تتوقَّف معرفةُ الآيات الناسخةِ والمَنسوخةِ على مَعرفةِ ما نَزَلَ أَوَّلاً من الآيات.

قال أبو جعفر النَّحَّاسُ: «وإنما يُذْكَرُ ما نزل بمكة والمدينة لأنَّ فيه أعظمَ الفائدةِ في الناسخ والمنسوخ، لأنَّ الآيةَ إذا كانت مكيَّة، وكان فيها حُكْمٌ، وكان في غيرها مما نَزَلَ في المدينة حكمٌ غيرُه، عُلِمَ أنَّ المدنيةَ نسخت المكِّية»[٥].

٢. الاستعانة بمعرفة المكِّي والمدني في تفسير القرآن الكريم.

---

(١) ينظر: البرهان للزركشي (١/ ١٩٩-٢٠٣)، وبصائر ذوي التمييز للفيروزآبادي (١/ ١٠٣-١٠٤)، والإتقان للسيوطي (١/ ٨٤-١٠٥).

(٢) ينظر: البيان في عد آي القرآن للداني (٣٧٩، و٤١٤).

(٣) ينظر: البيان في عد آي القرآن للداني (٤٠٦).

(٤) ينظر: دراسات في علوم القرآن الكريم للرومي (١٤٦)، ومحاضرات في علوم القرآن لغانم قدوري الحمد (٨٠).

(٥) الناسخ والمنسوخ (٦٤٩).

٣. ترتيب السور ترتيباً زمنياً يُمَكِّنُنَا من الوقوف على تأريخ السيرة النبوية وأحداثها، فقد سايَرَ نزولُ القرآن تاريخَ الدعوة.

٤. تتبُّع السُّورِ المكِّية والسُّور المدنية والنظر في موضوعاتها وأسلوبها، يكشف عن المنهج الذي رسمه القرآن للدعوة في مراحلها المختلفة، ويُقَدِّمُ للدعاة ما يعينهم في مواجهة الظروف المماثلة التي قد يمرُّون بها.

(٧) أهمُّ المؤلفات في المكِّي والمدني:

مؤلفات العلماء المُفردة في المكِّي والمدني قليلةٌ مُقارنةً بعلوم القرآن الأخرى.

ومن مؤلفات العلماء المتقدمين التي لم تصل إلينا:

١. كتاب المكِّي والمدني، لمكي بن أبي طالب القيسي (٤٣٧هـ)[١].

٢. كتاب التنزيل ومعرفة المكِّي والمدني، لأبي عمرو الدَّاني (٤٤٤هـ)[٢].

٣. كتاب المكِّي والمدني من القرآن واختلاف المكِّي والمدني في آيه، لأبي الحسن شُرَيح بن محمد الرُّعَيني الإشبيلي (٥٣٩هـ)[٣].

ومن مؤلفات المعاصرين في المكِّي والمدني:

١. خصائص السور والآيات المدنية، تأليف د. عادل محمد صالح أبو العلا.

٢. المكِّي والمدني في القرآن الكريم (من أول القرآن إلى نهاية سورة الإسراء)، تأليف د. عبد الرزاق حسين أحمد.

٣. المكِّي والمدني من السور والآيات (من أول سورة الكهف إلى آخر سورة الناس)، تأليف د. محمد عبد العزيز الفالح.

٤. كتاب المكِّي والمدني في القرآن الكريم، تأليف د. محمد بن عبد الرحمن الشايع.

(١) ينظر: الإتقان للسيوطي (١/ ٤٣).

(٢) ينظر: فهرست تصانيف الإمام أبي عمرو الداني (٢٣)، ونقل ابن عطية عنه في تفسيره (٥/ ٤٧٦).

(٣) ينظر: فهرسة ابن خير الإشبيلي (٣٧).

الفصل الرابع

تدوين القرآن الكريم

يتضمن هذا الفصل أربعة مباحث:

المبحث الأول: تدوين القرآن في زمن النبي ﷺ.

المبحث الثاني: جمع القرآن في الصحف في خلافة الصدِّيق رضي الله عنه.

المبحث الثالث: كتابة المصاحف في خلافة عثمان رضي الله عنه.

المبحث الرابع: تطور شكل المصحف.

حَظِيَ القرآن الكريم بالعناية منذ بدء تنزيله، وشمل ذلك الحفظ في الصدور، والجمع في السطور، وقد تكفَّلَ الله تعالىٰ بحفظ القرآن، بأنْ هيَّأ أسبابَ حفظِه علىٰ يدِ الصحابة الحفاظ وكُتَّاب الوحي ﷺ، فقد كان حفظُ القرآن في الصدور وكتابتُه في السطو يسيران جنبًا إلىٰ جنبٍ منذ عصر التنزيل إلىٰ عصرنا، ونتناول في هٰذا الفصل كتابة القرآن مفرقًا في الرقاع في زمن النبي ﷺ، وجمعه في الصحف في خلافة أبي بكر الصديق، ونسخ الصحف في المصاحف في خلافة عثمان بن عفان، ثم ندرس تطور شكل المصحف.

المبحث الأول
تدوين القرآن في زمن النبي ﷺ

القرآن الكريم كلام الله تعالىٰ، أنزله علىٰ نبيِّه محمد ﷺ لهداية البشرية، وقد تكفَّل سبحانه بحفظه، فقال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]، فلا يَعتَريه زيادةٌ ولا نقصانٌ، ولا تحريفٌ ولا تبديلٌ، بخلاف غيره من كتب الأنبياء السابقين، فإنه تعالىٰ لم يتكفَّل بحفظها، بل وَكَلَ حفظَها إلى البشر، فقال: ﴿وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ﴾ [المائدة: ٤٤]، ولذلك وَقَعَ فيها الاختلاف[(١)].

وكان حفظ القرآن في زمن النبي ﷺ وَعداً وَعَدَهُ الله تعالىٰ إياه، أما اليوم فهو حقيقةٌ راسخةٌ يَشهَدُ لها التاريخ، وهو مُعجزةٌ ربانيةٌ باقية، لا تتعلَّق بحالِ الأمةِ من قوةٍ ولا ضعفٍ، ولا تتأثَّر بكَيدِ أعداء الدِّين ومحاولتهم المستمرة النَّيْلَ من القرآن الكريم، والحمدُ لله رب العالمين.

(١) ينظر: الهداية لمكي (٣/ ١٧٣٠)، والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي (٦/ ٤٦٨).

(١) الأمر بكتابة القرآن في عهد رسول الله ﷺ:

أنزل الله تعالى القرآن الكريم على قلب النبي ﷺ مباشرة، قال الله تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء]، وكان من ثمرة ذلك التنزيل أنْ حَفِظَ رسول الله ﷺ القرآنَ حفظًا لا حَظَّ للنسيان معه، فقد قال سبحانه: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ﴾ [الأعلى: ٥].

وأَمَرَ رسول الله ﷺ بكتابة القرآن، واتخذ لذلك كُتَّابًا كانوا يُعْرَفُونَ بكُتَّاب الوحي، ولم يكن ﷺ بحاجةٍ إلى كتابةِ القرآن لنفسه، لكنه أمر بكتابته - حفظًا له - لأصحابه، ولأمته من بعده، وقال: «**لا تكتبوا عنِّي شيئًا سوى القرآن، ومَن كَتَبَ عني شيئًا سوى القرآن فَلْيَمْحُهُ**»[(١)]، وكان ذلك لئلَّا يَختَلِطَ بالقرآن ما ليس منه، ثم لَـمَّا أُمِنَ ذلك أُبِيحَتِ الكتابة[(٢)].

(٢) الصحابة الذين حفظوا القرآن في زمن النبي ﷺ:

إنَّ حِفْظَ شيءٍ من القرآن الكريم فَرْضٌ على كلِّ مسلم ليُقيمَ الصلاة، وكان الصحابة رضي الله عنهم يحفظون جميعًا من القرآن ذلك القدر، وكان منهم مَن حَفِظَ القرآن جميعَه، وقد كان الحفظ في زمانهم هو الوسيلةَ المعتمدةَ لتعلُّم القرآن، فلم تكن الكتابةُ شائعةً، ولم تكن المصاحفُ موجودةً.

وقد أخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما، عن قتادة قال: قُلْتَ لأنس بن مالك: مَن جَمَعَ القرآن على عهد رسول الله ﷺ؟ قال: «أربعة، كلهم من الأنصار: أُبَيُّ بن كعب، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأبو زيد، رَجُلٌ من الأنصار»[(٣)].

وذكر شُرَّاحُ الحديث أنَّ ما قاله أنسٌ رضي الله عنه لا يعني أنَّ سوى هؤلاء الأربعة من الصحابة

---

(١) أخرجه مسلم (٤/ ٢٢٩٨، رقم: ٣٠٠٤).

(٢) ينظر: تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة (٤١١)، والمفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم للقرطبي (٦/ ٧٠٣).

(٣) صحيح البخاري (٦/ ١٨٧، رقم: ٥٠٠٣)، وصحيح مسلم (٤/ ١٩١٤، رقم: ٢٤٦٥).

لم يحفظ القرآن، فقال الخطابي: «وقد كان لهم في ذلك شركاء من الصحابة، وإن كان هؤلاء أشدَّ اشتهاراً به، وأكثرَ تجريداً للعناية بقراءته»[١].

(٣) كُتَّابُ الوحي:

كان رسول الله ﷺ أُمِّيًّا، وكانت الأُمِّيَّةُ فضيلةً في حقِّه[٢]، لأنها أَدَلُّ على صدق ما جاء به[٣]، وقد اعتنى ﷺ مع ذلك بموضوع الكتابة كثيراً، واتَّخذَ كُتَّابًا يكتبون له الوحي، ويكتبون رسائلَه وعهودَه وما كان يأمر به، حتى بلغ عدد كُتَّابه من صحابته أكثرُ من أربعين كاتبًا[٤]، وعُرِفَ مَن كَتَبوا له القرآن الكريم بـ(**كُتَّابِ الوحي**).

وذَكَرَ المؤرِّخون أنَّ أولَ مَن كتبَ القرآن للنبي ﷺ في مكة: **عبدُ الله بن سعد بن أبي سَرْحٍ** رضي الله عنه، فَأَزَلَّهُ الشيطان وارْتَدَّ، ثم رَجَعَ إلى الإسلام بعد فتح مكة، وحَسُنَ إسلامُه، ولم يظهر منه شيءٌ يُنْكَرُ عليه، وشارك في فتح مصر وأفريقية[٥].

وكَتَبَ لرسول الله بعد ارتداد ابن أبي سَرْحٍ: **عثمانُ بن عفان** رضي الله عنه، **وخالد وأبان ابنا سعيد بن العاص** رضي الله عنهم [٦]، وهم مِمَّن كان يكتب في مكة وقت ظهور الإسلام[٧].

وكان **أُبَيُّ بن كعب** رضي الله عنه أَوَّلَ مَن كَتَبَ الوحي للنبي ﷺ بعدما قَدِمَ المدينة، وكان إذا غاب كَتَبَ له **زيد بن ثابت** رضي الله عنه[٨]، وكان زيدٌ أَلْزَمَ الصحابة لكتابة الوحي[٩]، فقد قال: «كنت جار رسول الله ﷺ، فكان إذا نَزَلَ الوحي أَرْسَلَ إليَّ، فكتبتُ الوحي»[١٠].

---

(١) أعلام الحديث (٣/ ١٨٥٥).

(٢) ينظر: الوسيلة للسخاوي (٩٤).

(٣) ينظر: العقد الفريد لابن عبد ربه (٤/ ٢٤٣).

(٤) ينظر: الاستيعاب لابن عبد البر (١/ ٦٩)، وكُتَّاب النبي ﷺ لمحمد مصطفى الأعظمي (٥ و١١٢).

(٥) ينظر: تاريخ الطبري (٣/ ١٧٣، و١١/ ٥٤٠)، وتفسير القرطبي (٧/ ٤٠)، وفتح الباري (٩/ ٢٢).

(٦) ينظر: تاريخ دمشق لابن عساكر (٢٩/ ٢٧-٢٨).

(٧) ينظر: فتوح البلدان للبلاذري (٤٥٣)، وكتاب المصاحف لابن أبي داود (١/ ٤٢٢).

(٨) ينظر: فتوح البلدان للبلاذري (٤٥٤)، وتاريخ الطبري (٣/ ١٧٣)، والاستيعاب لابن عبد البر (١/ ٦٨).

(٩) ينظر: الاستيعاب لابن عبد البر (١/ ٦٨).

(١٠) ينظر: كتاب المصاحف لابن أبي داود (١/ ١٤٥).

وكانت كتابةُ القرآن بين يدي النبي ﷺ تخضعُ للتدقيق، كما كانت تخضع للمراجعة، قال زيد ﷺ: كنتُ أَكْتُبُ الوَحْيَ عندَ رسول الله ﷺ، وهو يُمْلِي عَلَيَّ، فإذا فَرَغْتُ قال: «اُقْرَأْهُ»، فَأَقْرَؤُهُ، فإنْ كان فيه سَقَطٌ أَقَامَهُ، ثم أَخْرُجُ به إلى الناس(١).

وقال زيد أيضاً: «كُنَّا عندَ - أو: حَوْلَ - رسول الله ﷺ نُؤَلِّفُ القرآنَ مِنَ الرِّقَاع»(٢).

(٤) الحكمة في عدم جمع القرآن في مصحف في زمن النبي ﷺ:

تُوُفِّيَ رسول الله ﷺ ولم يكن القرآن قد جُمِعَ في صُحُفٍ مُنظَّمةٍ، وإنما كان مُفرَّقاً في الرِّقَاعِ، وقد أخرج الإمام أحمد في «فضائل الصحابة» أنَّ زيدَ بنَ ثابت ﷺ قال: «قُبِضَ رسول الله ﷺ ولم يَكُنِ القرآن جُمِعَ، إنما كان في العُسُبِ، والكَرَانيف، وجرائد النَّخْلِ، والسَّعَفِ»(٣).

ولم يُجمَع القرآن في عهد رسول الله ﷺ في مصحفٍ واحدٍ لعدَّة أمور، منها(٤):

١- أنَّ الحاجةَ لم تَدعُ إلىٰ ذٰلك كما دَعَت في ما بعدُ.

٢- أنَّ القرآنَ الكريم نزل مُفرَّقاً، مدةَ ثلاثٍ وعشرين سنة، ولا يصلح أنْ يُجْمَعَ ما لم يكتمل ويتم، ولو جُمِعَ ونُشِرَ قبل اكتماله لأدىٰ ذٰلك إلىٰ نوع من الاضطراب.

٣- أنَّ ترتيبَ الآيات والسُّور ليس حسب ترتيبِ النزول، فلو جُمِع القرآنُ في مصحفٍ واحدٍ حينذاك، لكان عُرضةً للتغيير كلَّما نزل شيءٌ من القرآن.

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٥/ ١٤٢، رقم: ٤٨٨٨)، والمعجم الأوسط (٢/ ٢٥٧). وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ٢٥٧): رجاله ثقات.

(٢) أخرجه الترمذي (٥/ ٧٣٤، رقم: ٣٩٥٤)، وأحمد في مسنده (٣٥/ ٤٨٤، رقم: ٢١٦٠٧)، وابن حبان في صحيحه (١/ ٣٢٠، رقم: ١١٤)، وقال الترمذي: حديث حسن غريب.

(٣) فضائل الصحابة (١/ ٣٩٠)، ورجال إسناده ثقات. والعُسُبُ، جَمْعُ عَسيب، وهو جريد النخل، فُوَيْقَ الكَرَبِ لم يَنْبُتْ عليه الخوص، وما نَبَتَ عليه الخوص فهو السَّعَفُ (يَنظر: لسان العرب لابن منظور ١/ ٥٩٩).

(٤) ينظر: مناهل العرفان للزرقاني (١/ ٢٤٨)، ودراسات في علوم القرآن الكريم للرومي (٨٢-٨٣)، والمحرر في علوم القرآن لمساعد الطيار (١٥١-١٥٢).

(٥) تواتر نقل القرآن حفظًا وكتابةً:

تَبَيَّنَ مما تقدم وجودُ عددٍ من الصحابة يحفظون القرآن الكريم في زمن النبي ﷺ، وكان غيرهم من الصحابة يَحفَظون أجزاء من القرآن، أقل ذلك ما يُؤدُّون به الصلاة، وكانت تلاوة القرآن قد صارت هِجِّيرَاهُم، بدلاً من الحُدَاء والغِنَاء[١].

وتواتر نَقْلُ القرآن الكريم في الأمة جيلاً بعد جيل، بالحفظ وبالتلقين الشفوي، من لدن عصر الصحابة، وفي العصور التي تلت، حتىٰ عصرنا الحاضر.

وكان رسول الله ﷺ قد أمر بكتابة القرآن، حفظًا له من الضَّيَاع، مع أُمِّيَّتِهِ ﷺ، وقِلة الكَتَبَةِ، وصعوبةِ الوسائل، وذلك إدراكًا منه لأهميةِ الكتابة في حفظِ أصل الدِّين، الذي بعثه الله تعالىٰ لتَبليغِه للبشرية، ولأنَّ « الْكِتَابَةَ أضبطُ من صُدُور الرِّجَال»[٢]، وجاء في الأثر: «قَيِّدُوا العِلْمَ بالكِتَابِ»[٣]، أي: بالكتابة، والكتابة كالقَيد للعلم، فلا يَذْهَبُ ولا يُنْسَىٰ، وبذلك تضافَرَ الحفظُ في الصُّدور والحفظُ في السُّطور في نقل القرآن الكريم، ومن هنا سُمِّيَ القرآن قرآنًا، وسُمِّيَ كتابًا[٤].

(١) ينظر: أعلام الحديث للخطابي (٣/ ١٩٤٥)، وغريب الحديث (له) (١/ ٣٥٨)، والهِجِّيرَىٰ: الدَّأْبُ والعَادَةُ. ينظر: النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (٥/ ٢٤٦)، ولسان العرب لابن منظور (٥/ ٢٥٤).

(٢) تهذيب اللغة للأزهري (٢/ ١٧٠).

(٣) رُوي مرفوعًا وموقوفًا: أخرجه أبو طاهر في المخلصيات (١/ ٣٤٠، و٢/ ٢٩٠)، وابن عبد البر في جامع بيان العلم (١/ ٣٠٦، رقم: ٣٩٥)، والقضاعي في مسند الشهاب (١/ ٣٧٠، رقم: ٦٣٧) مرفوعًا، ولا يصح. ورُوي موقوفًا علىٰ عمر، وأنس وغيرهم من الصحابة. ينظر: مصنف ابن أبي شيبة (٩/ ٤٩، رقم: ٢٦٩٥٥)، وسنن الدارمي (١/ ٤٣٧، رقم: ٥١٤)، وكتاب العلم لزهير بن حرب (٢٩، رقم: ١٢٠)، والمعجم الكبير للطبراني (١/ ٢٤٦، رقم: ٧٠٠)، والمستدرك للحاكم (١/ ١٠٦)، وتقييد العلم للخطيب (١٨٢- ٢١٥)، والصواب: وقفه كما بيَّن الخطيب.

(٤) ينظر: النبأ العظيم لمحمد عبد الله دراز (٤١-٤٢).

المبحث الثاني
جمع القرآن في الصحف في خلافة الصدِّيق ﷺ

(١) دواعي جمع القرآن في خلافة الصدِّيق ﷺ:

تُوُفِّيَ رسول الله ﷺ والقرآن مُفَرَّقٌ في الرِّقاع، غيرُ مجموعٍ في مصحف، وكانت مُحاربةُ المرتدِّين في أول خلافة أبي بكر الصديق ﷺ، ومقتلُ عددٍ من حُفَّاظ القرآن فيها مِن أهمِّ العوامل التي أدَّت إلى التفكير في جمع القرآن في الصُّحفِ من الرِّقاع التي كُتِبَ فيها القرآن بين يدي النبي ﷺ، وتقدَّم عمر بن الخطاب ﷺ إلى أبي بكر الصديق ﷺ بأن يأمر بجمع القرآن الكريم في صُحُفٍ مُنظَّمةٍ، فوافق على ذلك بعد تردُّد.

(٢) كيفية جمع القرآن في خلافة الصدِّيق ﷺ:

نَقَلَ البخاري وغيره من المُحَدِّثِينَ والمؤرِّخين عن زيد بن ثابت ﷺ قصةَ جمع القرآن، وجاء فيها: قال زيد: «قال أبو بكر: إنك رجلٌ، شابٌّ، عاقلٌ، لا نتَّهِمُك، وقد كنتَ تكتبُ الوحيَ لرسول الله ﷺ، فَتَتَبَّعِ القرآن فاجْمَعْهُ، قال زيد: فوالله لو كلَّفوني نقلَ جبلٍ من الجبال، ما كانَ أثقلَ عليَّ مما أمرني به من جمع القرآن، قلت: كيف تفعلون شيئًا لم يفعله رسول الله ﷺ؟ قال أبو بكر: هو واللهِ خيرٌ، فلم يزل يُراجعني حتى شرحَ الله صَدري للذي شرحَ له صدرَ أبي بكر وعمر، رضي الله عنهما».

قال زيد: «فقمتُ فتتبَّعتُ القرآنَ، أجمعُه من الرِّقاع والأكتاف والعُسُبِ وصدور الرجال[١]، حتى وجدتُ آخر سورة التوبة: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[التوبة: ١٢٨] حتى خاتمة براءة مع خُزَيمة بن ثابت الأنصاري، لم أجدها مع أحدٍ غيره[٢]، فألحقتُها في سورتها».

---

(١) قال ابن حجر العسقلاني في فتح الباري (٩/ ١٥): إن الواو في قوله: (وصدور الرجال) بمعنى (مع)؛ أي: أكتبه من المكتوب الموافق للمحفوظ في الصدور.

(٢) أي: لم يجدها مكتوبة مع أحد غيره؛ لأنه كان لا يكتفي بالحفظ دون الكتابة. ينظر: الكواكب الدراري

وكانت الصحف التي جُمِعَ فيها القرآن عند أبي بكر حتىٰ توفاه الله، ثم عند عمر حياتَهُ حتىٰ توفاه الله، ثم عند حفصة بنت عمر»[١].

(٣) أهمية جمع القرآن في خلافة الصدِّيق ﷺ:

إنَّ جَمْعَ القرآنِ في الصُّحُف كان من جلائل الأعمال التي ازدان بها عهدُ الصِّدِّيق ﷺ، إن لم يكن أَجَلَّهَا[٢]، وقد قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ: «أعظم الناس أجراً في المصاحف أبو بكر، فإنه أَوَّلُ مَن جَمَعَ القرآن بين اللوحين»[٣].

إنَّ جمعَ القرآن في صُحُفٍ مُنظَّمةٍ، من الرِّقاعِ التي كُتِبَ عليها القرآنُ في زمن النبي ﷺ، جاء في الوقت المناسب من نَواحٍ عدَّة، فقد تمَّ ذٰلك قبل وفاةِ الحُفَّاظ وكُتَّاب الوحي من الصحابة، وقبل تلفِ الرِّقاع التي كُتِبَ عليها القرآنُ بين يدي النبي ﷺ، وكان لهٰذه الصُّحُف شأنٌ عظيم، فقد ٱعْتُمِدَ عليها في نَسخِ المصاحف في خلافة عثمان بن عفان ﷺ.

للكرماني (١٩/ ٧)، والإتقان في علوم القرآن للسيوطي (٢/ ٣٨٤).

(١) صحيح البخاري (٦/ ٧١، رقم: ٤٦٧٩)، و(٦/ ١٨٣، رقم: ٤٩٨٦)، و(٩/ ٧٤، رقم: ٧١٩١)، وسنن الترمذي (٥/ ٢٨٣، رقم: ٣١٠٣).

(٢) ينظر: الصديق أبو بكر لمحمد حسين هيكل (١٦).

(٣) ينظر: كتاب المصاحف لابن أبي داود (١/ ١٥٣-١٥٥).

المبحث الثالث
كتابة المصاحف في خلافة عثمان رضي الله عنه

(١) دواعي كتابة المصاحف في خلافة عثمان:

ٱستجدَّت أمورٌ مهمةٌ، بعد جمع القرآن في الصحف في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وكانت سببًا لكتابة المصاحف في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه، أو جمع الأمَّة على مصحفٍ مُوحَّدٍ، فالقرآن قد جُمِعَ في زمن أبي بكر الصديق رضي الله عنه في الصُّحُف، فأمرَ عثمان بنَسْخِ تلك الصُّحف في المَصاحف وتوزيعها على أمصار المسلمين.

ومن الأمور التي دعت إلى كتابة المصاحف:

١. اتِّساع بلاد المسلمين لتَشملَ العراق وبلاد فارس والشام ومصر، وازدياد أعداد المسلمين، وحاجتهم إلى تَعَلُّمِ القرآن، وازدياد حاجتهم إلى المصاحف.

٢. إرسال المعلِّمين إلى الأمصار لتعليم الناس القرآن، فقد أرسل عمر بن الخطاب رضي الله عنه عدداً من كبار الحُفَّاظ من الصحابة، كعبادة بن الصامت ومعاذ بن جبل وأبي الدَّرداء إلى بلاد الشام[١]، وعبد الله بن مسعود إلى الكوفة[٢]، وأبي موسى الأشعري إلى البصرة[٣]، فكانوا يُعَلِّمُونَ القرآن[٤]، وكان لهؤلاء الصحابة تلامذةٌ أخذوا عنهم القراءات في هٰذه الأمصار. وظهرت مصاحف غير مُوحَّدة في الأمصار، كتبها أهلُ تلك الأمصار على قراءة من نَزَلَ عندهم من الصحابة[٥].

---

(١) ينظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٢/ ٣٥٦).

(٢) ينظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٣/ ٢٥٥، و٦/ ٧و١٣)، وتاريخ الطبري (٤/ ١٣٩)، والمستدرك للحاكم (٣/ ٣٣٨).

(٣) ينظر: الاستيعاب لابن عبد البر (٤/ ١٧٦٣).

(٤) ينظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٢/ ٣٤٥).

(٥) ينظر: تفسير ابن عطية (١/ ٤٩).

٣. بروزُ الاختلاف في القراءة بين أهل الأمصار، بسبب اختلاف قراءات الصحابة الذين نزلوا فيها وعلموهم بناءً على رخصةِ الأحرف السبعة، وكان ذلك الاختلافُ هو السبب المباشر لنَسْخِ الصُّحفِ البَكْرِيَّةِ في المصاحفِ في خلافة عثمان بن عفان[١].

(٢) كيفية كتابة المصاحف في خلافة عثمان رضي الله عنه:

روى البخاري وغيره من المُحَدِّثِينَ والمؤرِّخين قصةَ نَسْخِ الصُّحفِ في المَصاحف، وجاء فيها: عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «إنَّ حذيفةَ بنَ اليمان قَدِمَ على عثمان، وكان يُغَازِي أهل الشام في فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق، فأفزعَ حذيفةَ اختلافُهم في القراءة، فقال حذيفة لعثمان: يا أمير المؤمنين، أَدْرِكْ هذه الأمةَ قبلَ أنْ يَختَلِفوا في الكتاب اختلافَ اليهود والنصارى، فأرسل عثمانُ إلى حَفصةَ: أنْ أَرْسِلِي إلينا بالصُّحُفِ، نَنْسَخها في المَصاحف، ثم نردُّها إليكِ، فَأَرْسَلَتْ بها حفصةُ إلى عثمان.

فَأَمَرَ زيدَ بنَ ثابت، وعبدَ الله بنَ الزبير، وسعيدَ بنَ العاص، وعبد الرحمٰن بنَ الحارث بن هشام، فَنَسَخُوهَا في المصاحف، وقال عثمان للرَّهط القرشيين الثلاثة: «إذا اختلفتم أنتم وزيدُ بنُ ثابت في شيءٍ من القرآن، **فاكتبوه بلسان قريش**، فإنما نزل القرآن بلسانهم»، حتى إذا نَسَخُوا الصُّحُفَ في المصاحف رَدَّ عثمانُ الصُّحُفَ إلى حفصةَ، وأرسل إلى كلِّ أُفُقٍ بمصحف مما نَسَخُوا، وأَمَرَ بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أنْ يُحْرَقَ»[٢].

(٣) موقف الصحابة من كتابة المصاحف:

ٱستشار عثمانُ بنُ عفَّان رضي الله عنه الصحابةَ في أمر نَسْخِ الصُّحُف في المصاحف قبل أن

---

(١) ينظر: تفسير الطبري (١/ ٦٢)، وينظر: كتاب المصاحف لابن أبي داود (١/ ٢٠٣-٢٠٤)، والمقنع للداني (١١٩)، وفتح الباري لابن حجر (٩/ ١٨).

(٢) ينظر: صحيح البخاري (٦/ ١٨٣، رقم: ٤٩٨٧)، وسنن الترمذي (٥/ ١٣٥-١٣٦، رقم: ٣١٠٤)، وكتاب المصاحف لابن أبي داود (١/ ١٩٥-١٩٦)، و(١/ ٢٠٠)، والمقنع للداني (١١٨)، والكامل في التاريخ لابن الأثير (٢/ ٤٨٢).

يأمر بذلك، فقالوا: نِعْمَ ما رأيتَ[١]، وقال عليُّ بنُ أبي طالب ﷺ: «اتَّقوا اللهَ في عثمان، ولا تَغلوا فيه، ولا تقولوا حَرَّاقَ المصاحف، فوالله ما فعل إلا عن ملأٍ مِنَّا أصحابَ محمد»[٢]، وفي روايةٍ قال: «لو لم يَصْنَعْهُ لَصَنَعْتُهُ»[٣].

وكان من الطبيعي أنْ يُوَلِّي الصِّدِّيقُ زيدَ بنَ ثابتٍ كتابةَ القرآن اقتداءً بالنبي ﷺ، وأنْ يُوَلِّيَ عثمانُ زيداً أَمْرَ الجماعة التي قامت بنَسخ المصاحف المُوحَّدة، قال القاضي أبو بكر الباقلاني: «ويدلُّ على صِحةِ اختيارِ زيدٍ أنَّ أحدَنا اليوم إذا أراد أنْ يكتبَ مصحفًا يَتَّخِذُهُ إماماً لا يَلتَمِسُ له أقدمَ عصره حفظًا وأفهمَهم وأشجعَهم، وإنما يَلتَمِسُ أحسنَهم ضَبطًا وخَطًّا، وأحضرهم فَهْمًا، دون من كانت تلك صفاته»[٤].

ومن ثمَّ يبدو طبيعيًا – أيضًا – أَلَّا يشتركَ عبدُ الله بنُ مسعود ﷺ، الذي كان في الكوفة وقتَ نَسخِ المصاحف في ذلك العمل[٥]، وربما أَلْقَتْ قصةُ رفضِ ابنِ مسعودٍ إحراقَ مُصحَفِهِ في أول الأمر ظلالاً على ما قيل عن عدم إشراكه في نَسْخِ المصاحف وعَزْلِه من ذلك العمل، فقد أمر الخليفةُ عثمان ﷺ بإحراق كلِّ الرِّقاعِ والصُّحُفِ والمَصاحفِ التي كُتِبَ فيها القرآنُ من قِبَلِ بعض الصحابة، سوى المصاحف التي كَتَبَهَا الصحابةُ نَقلاً عن الصُّحُف، ولم يتخلَّفْ عن ذلك إلا عبدُ الله بنُ مسعود ﷺ ومَن تَبِعَه مِن أهل الكوفة، إذ يُرْوَىٰ أنه أنكر توليةَ زيدِ بنِ ثابتٍ نسخَ المصاحف دونه، وأَبَىٰ أنْ يُسَلِّمَ مُصحَفَه في أول الأمر، وأَمَرَ أتباعَه بِغَلِّ مصاحفهم[٦]. قال أبو بكر

(١) ينظر: كتاب المصاحف لابن أبي داود (١/ ٢٠٦).
(٢) ينظر: تاريخ المدينة لعمر بن شبة (٣/ ٩٩٥)، وكتاب المصاحف لابن أبي داود (١/ ٢٠٦)، والانتصار للقرآن للباقلاني (٢/ ٤٨٨)، والإتقان للسيوطي (٢/ ٣٩١).
(٣) ينظر: كتاب المصاحف لابن أبي داود (١/ ١٧٧، ١/ ٢٠٧).
(٤) ينظر: نكت الانتصار لمحمد بن عبد الله الصيرفي (٣٦٩)، وينظر: المقنع للداني (٣٠١).
(٥) ينظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (١/ ٣٤٩)، والطبقات الكبرىٰ لابن سعد (٦/ ١٣).
(٦) ينظر: فضائل القرآن لأبي عبيد (٢٨٢ و٢٨٥)، والطبقات الكبرىٰ لابن سعد (٢/ ٣٤٣)، وكتاب المصاحف لابن أبي داود (١/ ١٨٥، و١/ ١٩١).

الأنباري: «وما بَدَا من عبدِ الله بنِ مسعودٍ من نكير ذلك فشيءٌ نَتَجَهُ الغضبُ، ولا يُعْمَلُ به، ولا يُؤخذ به، ولا يُشكُّ في أنه ﷺ قد عَرَفَ بعد زوال الغضبِ منه حُسْنَ اختيارِ عثمان ومَنْ معه مِن أصحاب رسول الله ﷺ، وبَقِيَ على موافقتهم وترك الخلاف لهم»[1].

(٤) أهمية كتابة المصاحف في خلافة عثمان:

إنَّ لنَسْخ المصاحف وتوزيعها على الأمصار الإسلامية، وإحراق ما سواها أهميةً كبيرةً جداً في حفظ نصِّ القرآن، وجمع كلمة الأمة حوله، فتوحَّدت المصاحف التي بأيدي المسلمين منذ ذلك التاريخ إلى زماننا، وإلى ما شاء الله تعالى.

واعتمادُ الجماعة التي تَوَلَّتْ نَسْخَ المصاحف العثمانية على الصُّحُف التي جُمِعَ فيها القرآن في خلافة أبي بكر ﷺ، من الرِّقاع التي كَتَبَهَا كُتَّاب الوحي بين يدي النبي ﷺ يعطي المصاحف العثمانية أكبر قدرٍ من الثقة في تمثيل الوحي المُنَزَّلِ، ولا يدع مجالاً للشكِّ في صحَّةِ نصِّ القرآن من أيِّ جهةٍ من الجهات.

إنَّ ملاحظةَ تاريخِ جَمعِ القرآن في خلافة أبي بكر ﷺ في السنة الثانيةَ عشرةَ من الهجرة - بعد سنةٍ من وفاة النبي ﷺ -، وتاريخِ نسخ الصُّحُف في المصاحف في حدود سنة ٢٥هـ، حيث لا يزال أكثر حُفَّاظ القرآن من الصحابة أحياءً، مع مشاركة أكبر كُتَّاب الوحي في الكتابة أو الإشراف عليها، قد مَنَعَ من حصول أيِّ خللٍ في تلك المصاحف، والحمد لله رب العالمين.

(٥) خصائص كتابة المصاحف في خلافة عثمان:

يمتاز نَسخُ الصحف في المصاحف في خلافة عثمان ﷺ بجملةٍ من الخصائص، منها:

١. كتابتُه على حرفٍ واحدٍ، على لغةِ قريش، وقد أتاح تجرُّدُ الخَطِّ من النقاط والحركات قراءَتَه بأكثر من قراءة.

---

(١) نقلاً عن: تفسير القرطبي (١/ ٥٣).

٢. كتابةُ النصِّ الكريم مُجرَّداً من التفسير أو التأويل، ومن القراءات التي تخالف الرسمَ العثمانيَّ، مما كان الصحابةُ يقرؤون به في ظلِّ رخصةِ الأحرف السبعة.

٣. كان المصحف العثماني مُرتَّبَ السُّورِ، يبدأ بالفاتحة، وينتهي بسورة الناس، على ما كانوا يسمعون من قراءة رسول الله ﷺ.

(٦) موازنة بين جمع القرآن في العهد النبوي، وعهدَي الصديق وعثمان:

مَرَّ تدوين القرآن الكريم بثلاث مراحل، كلُّ مرحلةٍ تُمثِّل الأساسَ الذي بُنِيت عليه المرحلة اللاحقة، وهي:

المرحلة الأولى: كتابة القرآن في زمن النبي ﷺ مُفرَّقًا في الرِّقاع.

والمرحلة الثانية: جَمْعُ ما في الرِّقاع في صُحُفٍ مُنظَّمةٍ في خلافة أبي بكر رضي الله عنه.

والمرحلة الثالثة: نَسْخُ الصُّحُف في المصاحف في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه.

ومع هذا الترابط بين المراحل الثلاث، إلا أنَّ هناك تمايُزاً في الهَدَفِ من كتابة القرآن في كلِّ مرحلة، وتمايُزاً في الوسائل والأدوات، يمكن تلخيصُه في ما يأتي:

١. كان الهدفُ من كتابة القرآن في العهد النبوي تثبيتَ نصِّ القرآن الكريم، وتمييزَه عن الأحاديث النبوية، فقال ﷺ في وقت مبكر من تاريخ الدعوة: «**مَن كَتَبَ عنِّي غيرَ القرآن فَلْيَمْحُهُ**»[١].

٢. كان جمعُ أبي بكر رضي الله عنه للقرآن خَشيةَ أنْ يذهبَ من القرآن شيءٌ بذهاب حمَلَته، لأنه لم يكن مَجموعًا في موضعٍ واحدٍ، فَجَمَعَهُ في صحائفَ مُرتِّبًا لآياتِ سُوَرِهِ، على ما وَقَّفَهُم عليه النبيُّ ﷺ.

٣. كان نَسْخُ المصاحف في خلافة عثمان رضي الله عنه بسبب الاختلاف في وجوه القراءة، فَخُشِيَ من تفاقُم الأمر في ذلك، فَنَسَخَ الصُّحُفَ في مصاحف موحدة في الترتيب

(١) تقدمت الإشارة إلى ذلك في المبحث الخاص بكتابة القرآن في زمن النبي ﷺ، وذُكِرَ أن هذا كان في ابتداء الأمر؛ خشية اختلاط القرآن بغيره، ثم أُذِن في كتابة الحديث.

والنص، واقتصر من سائر اللغات على لغة قريش، مُحْتَجّاً بأنه نزل بلغتهم، وإن كان قد وُسِّعَ في قراءته بلغة غيرهم رَفْعاً للحرج والمَشقَّةِ في ابتداء الأمر، فرأى أنَّ الحاجةَ إلى ذلك قد انتهت، فاقتصر على لغة واحدةٍ[1].

(١) ينظر: الإتقان للسيوطي (٢/ ٣٩١).

المبحث الرابع
تطور شكل المصحف

كانت المصاحف العثمانية مجردة من جميع العلامات الكتابية، ومن كل الزيادات التي طرأت علىٰ حواشي صفحات المصحف، مما لا يُتْلَىٰ، وليس هو من ألفاظ الوحي المُنَزَّلِ[١]، وبَقِيَتْ نَسَخٌ مخطوطة من المصاحف الأولىٰ تمثل تلك الصورة، وهٰذه صورة صحيفة من مصحف قديم بالخط الحجازي، وهي أقرب إلىٰ صورة المصاحف الأولىٰ[٢]:

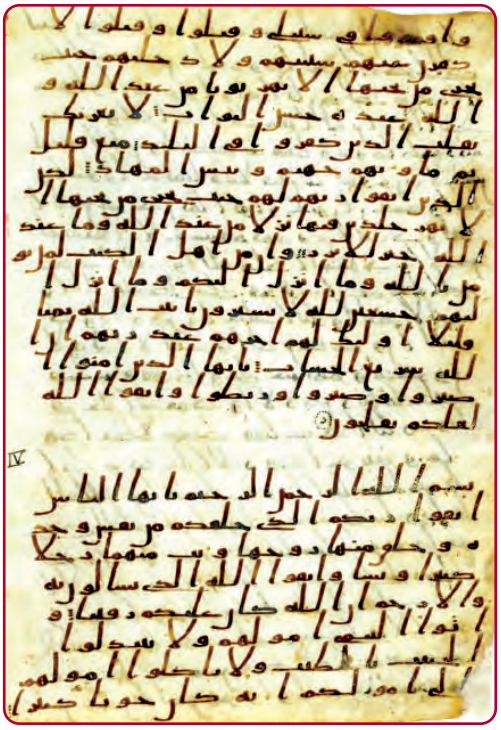

(آخر سورة آل عمران، وأول سورة النساء)

(١) ينظر: المحكم للداني (٥٩)، والبيان في عدِّ آي القرآن (٣٧٠).

(٢) من المصحف المحفوظ في المكتبة الوطنية بباريس برقم (٣٢٨)، وقد نشره الدكتور طيار آلتي قولاج في إستانبول سنة ١٤٣٦هـ = ٢٠١٥م.

وظهرت دراسات مستقلة لبحث الجوانب المتعلقة بشكل المصحف، وصارت جزءاً من علوم القرآن، وهي توضح ما يتعلق بشكل المصحف، ويشمل ذلك الرسم، والضبط، والعدد والتجزئة، وعلامات الوقوف، وهذا تعريف موجز بها:

(١) علم رسم المصحف

موضوع علم رسم المصحف، هو بيان كيفية رسم الكلمات القرآنية في المصاحف العثمانية، وما فيها من حذف أو زيادة أو بدل، ووصل وفصل، وسُمِّيَ بالرسم العثماني لأنه مستمد من المصاحف التي أمر بكتابتها الخليفة الثالث عثمان بن عفان ﷺ في خلافته، وحَظِيَ رسم المصاحف العثمانية بعناية العلماء بالقرآن الكريم من لدن عصر الصحابة والتابعين ومَن جاء بعدهم، وظهرت المؤلفات الخاصة برسم المصحف في وقت مبكر من تاريخ تدوين العلوم باللغة العربية، فقد اُعتنِىَ به وأُلِّف فيه عدد من القراء السبعة، ومن أقرانهم وتلامذتهم[١].

وأشهر المؤلفات في علم الرسم كتاب: (المقنع في معرفة مرسوم مصاحف أهل الأمصار) لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني (ت٤٤٤هـ)، و(مختصر التبيين لهجاء التنزيل) لأبي داود سليمان بن نجاح (ت٤٩٦هـ). وأشهر منظومات الرسم منظومة (عقيلة أتراب القصائد في أسنى المقاصد) للإمام القاسم بن فِيرُّهْ الشاطبي(ت٥٩٠ هـ) التي نَظَمَ فيها كتاب (المقنع) للداني، ومنظومة (مورد الظمآن في رسم أحرف القرآن) لمحمد بن محمد الشَّرِيشِيِّ الشهير بالخرَّاز (ت٧١٨ هـ) التي ضمنها ما في العقيلة، وزاد عليها ما في كتاب أبي داود سليمان بن نجاح.

(٢) علم النَّقْطِ والشَّكْلِ أو علم الضَّبْطِ

كانت الكتابة في المصاحف العثمانية مجردةً من علامات الحركات، ومن نِقاط الإعجام، ومن العلامات الأخرى الدالة على الهمزة والمدة والتشديد والسكون، لأن

---

(١) ينظر في تاريخ التأليف في رسم المصحف: الميسر في علم رسم المصحف وضبطه (٥٦-٩٦).

تلك العلامات لم تكن قد اسْتُعْمِلَتْ في الكتابة العربية في تلك الحقبة، ومَرَّ استعمال العلامات في الكتابة العربية بمرحلتين:

المرحلة الأولى: النَّقْطُ الْمُدَوَّر، الذي اخترعه أبو الأسود الدؤلي (ت٦٩هـ)، وجَعَلَ فيه الفتحة نقطة فوق الحرف باللون الأحمر، والكسرة نقطة تحت الحرف، والضمة نقطة أمام الحرف، وجعل التنوين نقطتين [١].

وقام بعض تلامذة أبي الأسود الدؤلي باستعمال النِّقَاطِ بلونِ مداد الكتابة لتمييز الحروف المتشابهة في الصورة، والتي تسمى بنقاط الإعجام، تمييزاً لها عن نقاط الإعراب التي اخترعها أبو الأسود، ويُنْسَبُ هذا العمل إلى نصر بن عاصم الليثي (ت٩٠هـ)[٢]، وهذه صورة لصحيفة من مصحف منقوط بطريقة أبي الأسود الدؤلي[٣]:

(١) ينظر: إيضاح الوقف والابتداء لابن الأنباري (١/ ٢٤١)، والمحكم للداني (٦٤).
(٢) ينظر: شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف للعسكري (١٣).
(٣) محفوظ في المكتبة الوطنية في باريس برقم ٣٥٠.

المرحلة الثانية: الشَّكْلُ المستطيل، وهو استعمال الحركات من فتحة وضمة وكسرة، بدلاً من نقاط الإعراب، إضافة لعلامة الهمزة والمدة والشدة والسكون، وينسب ذلك إلى الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٠هـ)[١]. وهذه صورة من مصحف ابن البوَّاب البغدادي (علي بن هلال) الذي كتبه سنة ٣٩١هـ في بغداد، وهو مضبوط بطريقة الخليل:

وأشهر المؤلفات في علم الضبط: كتاب (المحكم في علم نقط المصاحف) لأبي عمرو الداني، وكتاب (أصول الضبط وكيفيته على جهة الاختصار) لأبي داود

(١) ينظر: المحكم للداني (٧٤).

سليمان بن نجاح تلميذ الداني، وأشهر المنظومات: (ضبط الخراز)، الذي ألحقه بقصيدته في الرسم (مورد الظمآن)، وقد شرحه محمد بن عبد الله التنسي (ت ٨٩٩هـ) بكتابه الموسوم: (الطراز في شرح ضبط الخراز).

(٣) علم العدد القرآني

اعتنىٰ علماء قراءة القرآن من الصحابة والتابعين بتعيين رؤوس الآيات، وإن لم تكن مرسومة في المصحف، فكانوا يُعَلِّمُونَ الناس القرآن ويُوَقِّفُونَهُم علىٰ رؤوس الآيات، ورسموا أول الأمر ثلاثَ نِقَاطٍ عند رأس الآية في المصاحف، ثم تطوَّرت النِّقَاطُ الثلاثُ فصارت دائرة، ثم كُتِبَ رقم الآية في داخلها في العصور المتأخرة.

وظهر في كل مِصْرٍ من الأمصار الخمسة: مكة والمدينة والكوفة والبصرة والشام، علماءُ اشتهروا بمعرفة عَدِّ الآيات، وكذلك اعتنوا بإحصاء كلمات كل سورة وعدد حروفها، وظهرت المؤلفات التي تعتني بذلك منذ أول عصر التدوين.

وتقسيم القرآن علىٰ أجزاء يرجع إلىٰ عصر الصحابة والتابعين ﷺ، والذي اشتهر في تجزئة المصحف هو تجزئته إلىٰ ثلاثين جزءاً، وهو المعمول به في المصاحف التي تُطْبَعُ اليوم، مع تقسيم كل جزء إلىٰ حزبين، فيكون عدد الأحزاب ستين، وتقسيم كل حزب إلىٰ أربعة أرباع فيكون مجموع الأرباع مئتين وأربعين.

ومن أشهر المؤلفات في علم العدد وتجزئة القرآن من الكتب القديمة: كتاب (البيان في عد آي القرآن) لأبي عمرو للداني، ومن الكتب الحديثة: كتاب (الميسر في علم عد آي السور) للدكتور أحمد خالد شكري.

(٤) فواتح السور وأسماؤها

لم تكن أسماء السور تُكْتَبُ في المصاحف الأولىٰ، فكانوا يتركون فراغاً بين السورتين قَدْرَ سَطْرٍ واحد، كما تقدم في صورة الصحيفة التي وردت في أول المبحث، واْعْتَنَىٰ الخطاطون في العصور اللاحقة بزخرفة ما بين السورتين، وكتابة

اسم السورة، وعدد آيها في داخل تلك اللوحة المزخرفة، وهذه صورة لأول سورة القمر من مصحف قديم مخطوط[١]:

(٥) علامات الوقف والابتداء

نجد في المصحف علاماتٍ للوقوف، تساعد القارئ على اختيار الموضع المناسب للوقف، وهناك مدرستان مشهورتان لتقسيم الوقوف، وهما:

المدرسة الأولى: تقسيم الوقوف على أربعة أقسام، وهي: التامُّ، والكافي، والحسن، والقبيح، وهذا هو المذهب الذي رَجَّحَهُ كثير من علماء الوقف[٢].

واشتق بعض المؤلفين رموزاً لهذه الأقسام من المصطلحات الدالة عليها، وهي: (ت) للتام، و(ك) للكافي، و(ح) للحسن[٣]، ولم يشتهر استعمالها في المصاحف، فقد ظهرت في بعض المصاحف المخطوطة القديمة.

المدرسة الثانية: تقسيم الوقوف على ستة أقسام، وهو مذهب محمد بن طيفور السجاوندي (ت ٥٦٠هـ) الذي سلك مسلكًا آخر في تقسيم الوقف يعتمد على حكم الوقف، من وجوب أو جواز أو عدمه، وجَعَلَهُ خمسَة مراتب، أو ستة، وهي: الوقف اللازم، والمطلق، والجائز، والمُجَوَّزُ لوجه، والمُرَخَّصُ، وما لا يجوز الوقف عليه،

(١) محفوظ في المكتبة الوطنية في باريس برقم ٣٥٠.
(٢) ينظر: المكتفى للداني (١٠٦)، والنشر لابن الجزري (١/ ٢٢٦).
(٣) ينظر: لطائف الإشارات للقسطلاني (٢/ ٥١٩).

واختار لتلك المراتب رموزاً، هي: م، ط، ج، ز، ص، لا[١].

واشتهرت علامات الوقوف التي اخترعها السجاوندي، واسْتَعْمَلَتِ اللجان المشرفة على طباعة المصاحف في العصر الحديث علاماتٍ مشتقة من علامات السجاوندي، وهي:

م: علامة الوقف اللازم.

لا: علامة الوقف الممنوع.

ج: علامة الوقف الجائز جوازاً مُسْتَوِيَ الطرفين.

صَلَى: علامة الوقف الجائز مع كون الوصل أَوْلَى.

قَلَى: علامة الوقف الجائز مع كون الوقف أَوْلَى.

(۞): علامة تعانق الوقف بحيث إذا وُقِفَ على أحد الموضعين لا يصح الوقف على الآخر. واشتهر في بلاد المغرب مذهب في الوقف، يسمونه وقف الهَبْطي، منسوب إلى الإمام محمد بن أبي جمعة الهَبْطي المتوفى سنة ٩٣٠هـ، صاحب كتاب (تقييد وقف القرآن)[٢]، وله علامة واحدة في مصاحفهم، هي: (صه)، مهما كان نوع الوقف.

(٦) المصحف الشريف في عصر الطباعة

أسهم اختراع المطابع في نشر المصحف على أوسع نطاق، لكن ذلك لم يؤثر على المصحف، بعد أن أخذه شكله المتميز منذ القرون الهجرية الأولى، فرحلة المصحف الطويلة عبر القرون لم تُغَيِّرْ من نصه الذي كتبه الصحابة، رضي الله عنهم، حين تلقوه عن رسول الله ﷺ، وجمعوه في الصحف، ونسخوه في المصاحف، وإذا أخذنا أحدث نسخة مطبوعة من المصحف، ثم وازَنَّا بينها وبين إحدى النسخ العتيقة من المصحف المكتوبة على الرقوق، بالخط الكوفي القديم المجرد من العلامات، لوجدنا النص واحداً والتطابق بينهما تامّاً، سوى ما يرجع إلى الاختلافات الشكلية التي لا تغير من النص المكتوب ولا من قراءته.

---

(١) ينظر: كتاب الوقف والابتداء للسجاوندي (١١٣، و١٢٤).

(٢) ينظر: تقييد وقف القرآن، لمحمد بن أبي جمعة الهبطي (١٨-١٩).

ومن الدراسات الحديثة التي تؤكد ما ذكرناه كتاب (النص القرآني الخالد عبر العصور) [١] للدكتور محمد مصطفى الأعظمي، رحمه الله تعالى، الذي صدر سنة ١٤٣٨هـ = ٢٠١٧م، والذي دَرَسَ فيه سورة الإسراء في سبعة عشر مصحفًا مخطوطًا، تغطي كل العصور الإسلامية من منتصف القرن الأول الهجري، إلى القرن الحالي، مُصَدَّرَةً بمصحف المدينة النبوية [٢]، وأَدْرَجَ كلمات السورة البالغة (١٥٥٩) كلمة من جميع المصاحف المذكورة في جداول تستغرق حوالي ١٥٠ صحيفة[٣]،وهذه صورة صحيفة من الكتاب:

(١) يتكون الكتاب من المقدمة والدراسة في ٥١ صحيفة، ثم جداول كلمات سورة الإسراء في ١٤٦ صحيفة، والقسم المكتوب باللغة الإنليزية في ٤٤ صحيفة.

(٢) ينظر: النص القرآني الخالد ص ٥-٦، و١٣، و٢٤.

(٣) ينظر: النص القرآني الخالد ص ٢٤.

وتؤكد موازنة نص سورة الإسراء في هٰذه المصاحف علىٰ وحدة النص فيها، باستثناء تباين رسم بعض الكلمات، مما تسمح به طبيعة الرسم العثماني[١]، والاختلافات التي تظهر في هٰذا الجدول تقتصر علىٰ ظواهر إملائية محدودة لا تُخِلُّ بوحدة النص، ولا بالنطق للكلمات المنقول مشافهة بالرواية المتصلة، فكلمة (سبحان) تبدو في المصاحف القديمة بدون ألف، بينما تبدو في بعض المصاحف الحديثة بالألف، وكلمة (الأقصا) كُتِبَتْ في بعض المصاحف بالألف المقصورة (الأقصىٰ)، ولا يؤثر ذٰلك شيئًا في النطق أو المعنىٰ.

إن النظر في عشرات المصاحف المخطوطة القديمة يؤكد الحقيقة الثابتة بأن القرآن الكريم قد تحقق حفظه من التغيير أو الزيادة أو النقص، من لدن نَزَلَ به جبريل علىٰ قلب النبي ﷺ، وتدوينه في الرقاع، وجمعه في الصحف، ونسخه في المصاحف، إلىٰ زماننا الحاضر، ولا شك في أن النظر في مئات المصاحف الأخرىٰ، أو الآلاف منها، لن يغير هٰذه النتيجة، بل سوف يزيدها تأكيداً ووضوحًا.

(١) ينظر: النص القرآني الخالد ص ٢٥.

الفصل الخامس

الأحرف السبعة، والقراءات القرآنية

يتضمن هٰذا الفصل ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الأحرف السبعة، ومعناها.

المبحث الثاني: نشأة القراءات القرآنية، وعلاقتها بالأحرف السبعة.

المبحث الثالث: علم التجويد، وعلاقته بالقراءات القرآنية.

ورد ذكرُ الأحرف السبعة في عددٍ من الأحاديث النبوية الصحيحة، وقد حظي هذا الموضوع باهتمام العلماء بالقرآن من ناحيتين:

الأولى: البحث في دلالة الأحرف السبعة.

والثانية: علاقة الأحرف السبعة بالقراءات القرآنية.

ويتضمن هذا الفصل ثلاثة مباحث، الأول: في التعريف بحديث الأحرف السبعة، والثاني: في التعريف بالقراءات القرآنية وعلاقتها بالأحرف السبعة، والثالث: في التعريف بعلم التجويد وعلاقته بالقراءات القرآنية.

المبحث الأول
الأحرف السبعة، ومعناها

(١) معنى الحرف لغة واصطلاحًا:

الحرف في اللغة: حَدُّ الشيء وطَرَفُه وشَفِيرُهُ[١]، والحرف: من حروف التهجِّي الثمانية والعشرين، سُمِّيَ بالحرف الذي هو في الأصل الطَّرَفُ والجانب[٢].

وكلُّ كلمة من القرآن تُقْرَأُ على أكثر من وجهٍ تُسَمَّى حَرْفًا أيضًا، ويقال: هذا في حرف ابن مسعود، أي: في قراءته، والحرف: القراءة[٣].

(٢) الأدلة على ثبوت الأحرف السبعة:

تواتر في أحاديثَ صحيحةٍ كثيرةٍ أنَّ النبي ﷺ قال: «**إنَّ هذا القرآن أُنْزِلَ على سبعة أحرف، فاقرؤوا ما تيسَّر منه**»، وبلغ عدد الصحابة الذين رَوَوْا ذلك عن رسول الله ﷺ

---

(١) ينظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٢/ ٤٢-٤٣)، وتاج العروس للزبيدي (٢٣/ ١٢٨).

(٢) ينظر: تاج العروس للزبيدي (٢٣/ ١٢٨).

(٣) ينظر: لسان العرب لابن منظور (٩/ ٤١).

واحداً وعشرين صحابياً[١] في مناسبات متعددة، ووردت روايات هٰذا الحديث في أصح كتب الحديث، وفي كتب التفسير وعلوم القرآن أيضًا، ولا يتَّسع المَقام هنا لإيراد جميع تلك الروايات[٢].

وقد أخرج حديث الأحرف السبعة البخاري ومسلم وغيرهما، وجاء في بعض تلك الروايات قوله ﷺ: «**إنَّ هٰذا القرآن أُنْزِلَ على سبعة أحرف، فاقرؤوا ما تَيَسَّرَ منه**»[٣].

وجاء في روايةٍ أخرجها الترمذي، عن أُبَيِّ بن كعب رضي الله عنه أنه قال: «**لَقِيَ رسول الله ﷺ جبريل، فقال: يا جبريلُ إني بُعِثْتُ إلى أُمَّةٍ أُمِّيِّينَ، منهم العجوزُ، والشيخُ الكبيرُ، والغلامُ، والجاريةُ، والرجلُ الذي لم يَقْرَأْ كتابًا قَطُّ، قال: يا محمدُ، إنَّ هٰذا القرآنَ أُنْزِلَ على سبعة أحرف**». وقال: هٰذا حديث حسن صحيح[٤].

(٣) أشهر الأقوال في معنى الأحرف السبعة:

لم يَرِد في أيٍّ من روايات الحديث تحديدٌ للأحرف السبعة أو بيانٌ لمعناها، وإنْ كان الواضح منها أنها تتعلَّق بقراءة القرآن الكريم، وقد اختلف الدارسون في معنى (الأحرف السبعة) اختلافًا كبيراً[٥]، ويمكن أنْ نُلخِّصَ أقوالَهم في تفسير الأحرف السبعة في اتجاهين:

الاتجاه الأول: أنَّ عددَ السبعة الوارد في الحديث لا يُقْصَدُ به الحصر.

قال ابن الجزري (٨٣٣هـ): «وقيل: ليس المراد بالسبعة حقيقة العدد بحيث لا يزيد ولا ينقص، بل المراد السَّعة والتيسير، وأنه لا حرج عليهم في قراءته بما هو من

---

(١) ينظر: الإتقان للسيوطي (١/ ٣٠٦-٣٠٨).

(٢) جَمَعَ الدكتور عبد العزيز بن عبد الفتاح القارئ روايات الحديث وما قيل في معناه في كتاب: (حديث الأحرف السبعة: دراسة لإسناده ومتنه واختلاف العلماء في معناه، وصلته بالقراءات القرآنية).

(٣) صحيح البخاري (٣/ ١٢٢، رقم: ٢٤١٩)، وصحيح مسلم (١/ ٥٦٠، رقم: ٨١٨).

(٤) سنن الترمذي (٥/ ١٩٤، رقم: ٢٩٤٤)،

(٥) الإبانة لمكي (٣٤).

لغات العرب من حيث إنَّ الله تعالىٰ أَذِنَ لهم في ذٰلك، والعرب يُطلقون لفظَ السَّبْعِ والسبعينَ والسَّبْعِ مئةٍ ولا يريدون حقيقة العدد بحيث لا يزيد ولا ينقص، بل يريدون الكثرةَ والمبالغةَ من غير حصر»[١].

الاتجاه الثاني: أنَّ المقصود بالسبعة الحصر، كما نصت علىٰ ذٰلك ألفاظ الحديث. وهو مذهب أكثر علماء السلف، لٰكنهم اختلفوا في تعيين السبعة، وأشهر الأقوال في هٰذا الاتجاه ثلاثة:

١. أنها سبعُ لغاتٍ من لغات العرب.

قال أبو عبيد القاسم بن سلَّام (٢٢٤هـ): « قوله: (سبعة أحرف)، يعني: سبع لغات من لغات العرب، وليس معناه أن يكون في الحرف الواحد سبعة أوجه، هٰذا ما لم نسمع به قطُّ، ولٰكن نقول هٰذه اللغات متفرقة في القرآن...»[٢].

٢. أنَّ الأحرف السبعة هي سبعة ألفاظ مختلفة في النطق، متفقة في المعنىٰ.

قال الطبري: «الأحرف السبعة التي أنزل بها القرآن هي لغاتٌ سَبْعٌ في حرف واحد وكلمة واحدة، باختلاف الألفاظ واتفاق المعاني، كقول القائل: هلمَّ، وأقبل، وتعال، وإليَّ، وقصدي، ونحوي، وقربي، ونحو ذٰلك مما تختلف فيه الألفاظ بضروبٍ من المَنطق وتتَّفِقُ فيه المعاني»[٣]. ويرى الطبري أنَّ عثمان ﷺ جَمَعَ الناس علىٰ حرفٍ واحدٍ، وأنَّ الأحرفَ الستة الأخرىٰ قد ذهبت[٤].

٣. أنَّ الأحرف السبعة هي سبعة وجوه من وجوه القراءات.

قال ابن قتيبة: «وقد تدبَّرتُ وجوه الخلاف في القراءات، فوجدتها سبعة أَوْجُهٍ»[٥]،

---

(١) النشر (١/ ٢٥-٢٦)، وينظر: المرشد الوجيز لأبي شامة (٩٩)، والإتقان للسيوطي (١/ ٣٠٩-٣١٠).
(٢) غريب الحديث (٢/ ٦٤٢)، وينظر: فضائل القرآن (له) (٣٣٩).
(٣) تفسير الطبري (١/ ٥٧-٥٨).
(٤) تفسير الطبري (١/ ٦٣-٦٤).
(٥) تأويل مشكل القرآن ص (٣١-٣٢).

وذلك مثل إبدال لفظ بلفظ، أو حرف بحرف، أو تقديم وتأخير، أو زيادة حرف أو نقصانه، أو اختلاف حركة بناء الكلمة أو إعرابها، أو اختلاف في تفخيم الصوت أو ترقيقه، ونحو ذلك[١].

ولم يَحظَ أيُّ قولٍ من هذه الأقوال بما يمكن أنْ يُرجِّحَه على غيره أو يَحْمِلَ على القطع بصحته، ولا يكاد قولٌ منها يَسلَمُ من مَأْخذٍ أو اعتراضٍ، وهو ما يَمنع من اعتماد واحدٍ منها أو ترجيحه وإلغاءِ الأقوال الأخرى، ولكن تلك الأقوال بينها تداخلٌ وارتباطٌ، وقد يُكمِّلُ بعضُها بعضاً في فَهْمِ الرُّخصة في القراءة، ومن ثَمَّ فإنه لا يجوز إلغاءُ أيٍّ منها، لأنَّ كلَّ واحدٍ منها يَرتبط بالموضوع من جهة ما، فهي وجوه للقراءات، وتَعكِسُ تنوُّعاً للغات، هدفها التيسير في القراءة.

وإذا كانت القراءات القرآنية جميعُها - مشهورهُا وشاذُّها - ناتجةً عن رخصة الأحرف السبعة، فإنه يلزم أنْ نبحثَ عن تفسير الأحرف السبعة في إطار الاختلاف بين تلك القراءات، وكان القرآن قد نزل بلغة قريش، ثم جاءت الرخصة بعد ذلك بالتيسير في قراءته بعد أنْ شقَّ على كثيرٍ من الصحابة قراءتُه بلغة قريش، فجاءت القراءات تيسيراً عليهم.

ويمكن أنْ نَصِلَ من العَرض السابق إلى نتيجةٍ تُلخِّصُ المُرادَ من الأحرف السبعة، وهو: **التعبير عن الرُّخصة في القراءة للصحابة الذين لم تُمَكِّنْهُم عاداتُهم اللغوية من نُطق القرآن الكريم باللَّفظ المُنَزَّلِ بلغة قريشٍ**، وذلك بالتيسير عليهم بقراءته بعربيتهم التي اعتادوها ونشؤوا عليها، بتعليم النبي ﷺ لهم.

(٤) الأحرف السبعة وعلاقتها بالمصحف العثماني

كُتِبَتِ المصاحف العثمانية بلغة قريش، وأُرسِلت إلى الأمصار الإسلامية، ليتوحَّد المصحفُ الذي بأيدي المسلمين، وليَزولَ الاختلاف بينهم في القراءة، وقد أتاح

(١) ينظر: المرشد الوجيز لأبي شامة (١١٣-١٢٥)، والنشر لابن الجزري (١/ ٢٦-٢٨).

تجرُّدُ خَطِّ المصاحف من النقاط والحركات لأهل الأمصار القراءةَ بما يُوافقُ خطَّ تلك المصاحف، وتركوا كلَّ قراءةٍ تُخالف الخطَّ. ويعني ذلك أنَّ المصاحف العثمانية كُتِبَتْ على حرفٍ واحدٍ من الأحرف السبعة، لكنَّ خطَّها مُحتَمِلٌ لأكثر من حرف[١]، وكلُّ قراءةٍ صحيحةٍ قرأ بها القُرَّاءُ السبعةُ أو العشرة هي جزءٌ من تلك الأحرف.

قال ابن الجزري في كتابه «النشر»: «وأما كون المصاحف العثمانية مُشتملةً على جميع الأحرف السبعة، فإنَّ هذه مسألةٌ كبيرةٌ اختلف العلماء فيها: فذهب جماعاتٌ من الفقهاء والقُرَّاء والمُتكلِّمين إلى أنَّ المصاحفَ العثمانيةَ مُشتملةٌ على جميع الأحرف السبعة، وبَنَوْا ذلك على أنه لا يجوز على الأمة أنْ تُهمِلَ نقلَ شيءٍ من الحروفِ السبعة التي نزلَ القرآن بها، وقد أجمع الصحابةُ على نقل المصاحفِ العثمانية من الصُّحفِ التي كتبها أبو بكر وعمر، وإرسالِ كلِّ مصحفٍ منها إلى مِصر من أمصارِ المسلمين، وأجمعوا على تَركِ ما سوى ذلك، قال هؤلاء: ولا يجوز أنْ يُنْهَى عن القراءةِ ببعض الأحرف السبعة، ولا أنْ يُجْمِعُوا على تَركِ شيءٍ من القرآن.

وذهب جماهير العلماء من السَّلفِ والخَلف وأئمةِ المسلمين إلى أنَّ هذه المصاحفَ العثمانيةَ مُشتملةٌ على ما يَحتَمِلُه رَسْمُها من الأحرف السبعة فقط، جامعةٌ للعَرْضَةِ الأخيرة التي عَرَضَها النبي ﷺ على جبرائيل عليه السلام، مُتضمِّنةٌ لها، لم تتركْ حرفًا منها. (قلت): وهذا القول هو الذي يظهر صوابه، لأنَّ الأحاديثَ الصحيحةَ والآثار المشهورة المُستفيضةَ تدلُّ عليه وتَشهَدُ له»[٢].

(١) ينظر: الإبانة لمكي (٣٤).
(٢) النشر (١/ ٣١).

المبحث الثاني
نشأة القراءات القرآنية، وعلاقتها بالأحرف السبعة

تشتهر اليوم قراءة عاصم بن أبي النجود الكوفي (ت١٢٧هـ)، برواية حفصِ بن سليمان عنه في بلدان المشرق، وقراءة نافع بن أبي نعيم المدني (ت ١٦٩هـ) برواية ورشٍ أو قالونَ عنه في بلدان المغرب، وقراءة أبي عمرو بن العلاء البصري (ت ١٥٤هـ) برواية السُّوسي عنه في بعض بلدان أفريقيا، ويقرأ المختصُّون بالقراءات القرآنية بالقراءات السبع الأخرىٰ، وبالثلاث المُكمِّلة لها عشراً، ويقرأ بعضهم ببعض القراءات الشاذَّة الأخرىٰ.

وقد يتساءلُ بعضُ الدارسين عن العلاقة بين الأحرف السبعة والقراءات السبع، **ويمكن القول بأنَّ جميعَ القراءات القرآنية التي ثَبَتَ أنَّ الصحابةَ قرؤوا بها هي نتيجةٌ لرخصةِ الأحرف السبعة، وهي الترجمةُ العَملية لتلك الرُّخصة**، ولكنَّ رواية تلك القراءات تفاوتَتْ قوةً وضعفـًا، فوُصِف بعضها بالتواتر، وبعضها بالشذوذ.

ويمكن تقسيم رواية القراءات علىٰ مرحلتين، هما: رواية القراءات قبل عصر ابن مجاهد البغدادي (٣٢٤هـ) الذي كان أول من سبَّع السبعةَ، ورواية القراءات بعد عصر ابن مجاهد.

المطلب الأول: رواية القراءات قبل عصر ابن مجاهد

وتمتدُّ هذه المرحلةُ من عصر الصحابة إلىٰ عصر ابن مجاهد البغدادي (ت ٣٢٤هـ)، وتشمل القرون الهجرية الثلاثة الأولىٰ، وتتميَّز هذه المرحلة بتعدُّد القراءات وكثرتها، بسبب ظاهرة الاختيار في القراءة.

وكلمة (الاختيار) في اللغة تدلُّ على المُفاضلة بين أمرين أو أكثر واصطفاء أحدهما، وصارت للكلمة في علم القراءات دلالةٌ أكثر تحديداً، وهي التعبير عن قيام

قارئٍ للقرآن باعتماد وجهٍ من وجوه القراءة المَرويَّةِ في كلِّ حرف من حروف القرآن المُخْتَلَف في قراءتها، في تعليمه القرآن وتلاوته له، فيقال: اختيار فلان، أي: قراءته التي اختارها.

قال مكي: «وهؤلاء الذين اختاروا إنما قرؤوا لجماعة، وبروايات، فاختار كلُّ واحدٍ مما قرأ وروى قراءةً تُنْسَبُ إليه بلفظ الاختيار»[(١)]، وليس معنى اختيار القارئ قراءة أنه يقوم باختراعها[(٢)].

وكان القُرَّاء يَرجِعون في اختيارهم القراءة إلى ضوابط أو شروط، وهي التي سمَّاها العلماء أركانَ القراءة الصحيحة، قال مكي: « وأكثر اختياراتهم إنما هي في الحرف إذا اجتمع فيه ثلاثة أشياء: قوة وجهه في العربية، وموافقته للمصحف، واجتماع العامة عليه».

وكانت ظاهرة الاختيار في القراءة قد تركت آثاراً في تشكيل القراءات بالشكل الذي استقرت عليه بعد عصر ابن مجاهد (٣٢٤هـ)، ومن أهمها ما يأتي[(٣)]:

١. امتزاج قراءات الأمصار.

فقد كانت قراءات الأمصار تُنسب إلى القُرَّاء من الصحابة، ولكن هذه القراءات تداخلت في عصر التابعين وتابعي التابعين، لتظهر في أسماءٌ جديدةٌ هي اختيارات القُرَّاء من التابعين وتابعيهم.

٢. ازدياد عدد القراء والقراءات.

كان عدد القُرَّاء من الصحابة الذين تصدَّروا للإقراء واشتهرت قراءتهم لا يتجاوز العشرة، لكنَّ عددَ القُرَّاء من أصحاب الاختيارات تضاعف في عصر التابعين وتابعي التابعين، وبلغوا العشرات، بسبب اتِّساعِ بلاد المسلمين، وازدياد الحاجة إلى التعليم.

---

(١) الإبانة (٤٩).

(٢) ينظر: جامع البيان للداني (١/ ١٢٩-١٣٠)، والنشر لابن الجزري (١/ ٥٢).

(٣) ينظر: علوم القرآن بين المصادر والمصاحف لغانم قدوري الحمد (٢٢٢-٢٢٦).

ولم يكن هناك ما يمنع أيَّ قارئٍ من القُرَّاء أنْ يختارَ قراءةً يَلتَزِمُ بها، ويُعلِّمها، وتُنسبُ إليه على سبيل الاختيار، إذا تحققت فيها ثلاثة شروط أو أركان: صحة الرواية، وموافقة رسم المصاحف العثمانية، وقوة الوجه في العربية[١].

المطلب الثاني: رواية القراءات بعد عصر ابن مجاهد

انحسرت ظاهرة الاختيار بعد عصر ابن مجاهد البغدادي (ت ٣٢٤هـ)، الذي أقدم على دراسة الاختيارات وصنفها إلى صنفين: الاختيارات الصحيحة المشهورة، والاختيارات الشاذة المهجورة، وأَلَّفَ كتابين:

الأول: **(كتاب السبعة)**، الذي ضمَّنه اختيارات القُرَّاء السبعة المشهورين، وهم: نافع، وابن كثير، وعاصم، وأبو عمرو، وحمزة، والكسائي، وابن عامر.

والثاني: كتاب **(شواذِّ السبعة)**، الذي ضمَّنه بقية الاختيارات التي لم تَشتَهر شهرةَ السبعة[٢].

ووصف ابنُ الجزري ابنَ مجاهد بأنه (أَوَّلُ مَنْ سَبَّعَ السبعة)[٣]، ولم يكن يُعْرَفُ قبل ابن مجاهد مصطلح القراء السبعة، ولا القراءات السبع، لكنه اشتَهَر من بعده، حتى عدَّ بعضهم ما عدا السَّبْعَ شاذّاً[٤]، وكَثُرَتِ المؤلفات في القراءات السبع، ثم أُضِيفَتْ إليها ثلاث قراءات، هي قراءةُ كلٍّ مِن أبي جعفر، ويعقوب، وخلف، فصارت القراءات المتواترة عشراً، وما عداها شاذٌّ.

ويَتبيَّن من هذا العَرض أنَّ القراءات التي قرأ بها الصحابة هي النتيجة العملية لرُخصة الأحرف السبعة، لكنها منها ما اشتهر، ووافق الرسم، مثل القراءات السبع، والثلاث المُتمِّمة لها، ومنها ما تركت القراءة به، وهو القراءات الشاذَّة المخالفة لخط المصحف.

---

(١) ينظر: الإبانة لمكي (٤٩).

(٢) ينظر: ابن جني: المحتسب (١/ ٣٢ و٣٥).

(٣) غاية النهاية (١/ ١٣٩).

(٤) ينظر: ابن النديم: الفهرست (٣٣).

المبحث الثالث
علم التجويد، وعلاقته بالقراءات القرآنية

علم التجويد فرع من علوم القراءة، وعلم القراءات القرآنية أقدم نشأة في التأليف من علم التجويد، وبينه وبين علم القراءات فرق يجعلهما علمين مستقلين، فعلم التجويد يُعْنَىٰ بحقائق النطق، ويبحث في مخارج الأصوات وصفاتها وخصائصها، مما هو موضع اتفاق في معظمه بين القراء، وعلم القراءات يُعْنَىٰ باختلاف وجوه النطق المروية عن القراء في كلمات القرآن(١).

وشهد القرن الرابع ولادة علم جديد يُعْنَىٰ بتصحيح النطق في قراءة القرآن الكريم، واجتناب مظاهر اللحن الخفي، ويستند في ذلك إلىٰ معرفة مخارج الحروف وصفاتها، فقد نظم أبو مزاحم موسىٰ بن عبيد الله الخاقاني(ت ٣٢٥هـ)، وهو من علماء القراءة، قصيدةً في حُسْنِ أداء القرآن، في واحد وخمسين بيتًا، مطلعها:

أَقُولُ مَقَالاً مُعْجِبًا لأُولِي الحِجْرِ ... ولا فَخْرَ إنَّ الفَخْرَ يَدْعُو إلى الكِبْرِ

قال ابن الجزري: «هو أول مَن صَنَّف في التجويد في ما أعلم، وقصيدته الرائية مشهورة(٢)، شرحها الحافظ أبو عمرو»(٣).

وتمكن أحد علماء القراءة في حدود نهاية القرن الرابع الهجري أن يكتب رسالة في اللحن الجلي واللحن الخفي كان لها دور في تأسيس علم التجويد وتثبيت أركانه، فقد كتب أبو الحسن علي بن جعفر السعيدي (ت ٤١٠هـ) كتاب (التنبيه على اللَّحْنِ

---

(١) ينظر: جهد المقل لمحمد المرعشي (١١٠).

(٢) حَقَّقْتُ القصيدة ضمن بحث (علم التجويد: نشأته ومعالمه الأُولىٰ) المنشور في مجلة كلية الشريعة بجامعة بغداد في العدد السادس ١٤٠٠هـ = ١٩٨٠م، وظهرت نشرات أخرىٰ محققة بعد ذلك.

(٣) غاية النهاية (٢/ ٣٢١)، وحَقَّقَ الشرح غازي بن بنيدر العمري في رسالته للماجستير في جامعة أم القرىٰ بمكة المكرمة، سنة ١٤١٨هـ.

الجَلِيِّ واللَّحْنِ الخَفِيِّ) الذي ذَكَرَ في مقدمته مصطلح التجويد في قوله: « سألتني... أَن أَصِفَ لك نُبَذاً من تجويد اللفظ بالقرآن»[١].

وشهد القرن الخامس الهجري ظهور أول مؤلفات علم التجويد الجامعة، التي أعطت هٰذا العلم ملامحه، ومن أقدمها كتاب (الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة)، لمكي بـن أبي طالب القيسي (ت ٤٣٧هـ)، ثم كتاب (التحديد في الإتقان والتجويد)، لأبي عمرو الداني (ت٤٤٤هـ)، وكتاب (الموضح في التجويد) لعبد الوهاب بن محمد القرطبي(ت٤٦١هـ)، وهٰذه الكتب محققة مطبوعة.

واستمر التأليف في علم التجويد في العصور اللاحقة، حتىٰ زماننا، وظهرت عشرات المؤلفات، ومن أشهر كتب علم التجويد المتأخرة كتاب: (التمهيد في علم التجويد)، لأبي الخير محمد بن الجزري (ت ٨٣٣هـ)، ومنظومته المشهورة بالمقدمة الجزرية من أشهر المنظومات في هٰذا العلم. وتتألف من مئة وسبعة أبيات، وقد يزاد بيتان في آخرها في بعض النسخ، ومطلعها:

يقولُ راجي عَفْوِ رَبٍّ سامِعِ مُحَمَّدُ ابنُ الجزريِّ الشافِعِي

وهي تتألف من ثلاثة موضوعات رئيسية، وهي:

١- أحكام التجويد، مبدوءة بالمخارج والصفات (الأبيات ٩-٧٢).

٢- الوقف والابتداء (الأبيات ٧٣-٧٨)، و(١٠٠-١٠٥).

٣- موضوعات رسم المصحف (المقطوع والموصول، وهاء التأنيث) (الأبيات ٧٩-٩٩).

وكُتِبَتْ شروح كثيرة على المقدمة، وظهرت مؤلفات أخرىٰ في علم التجويد في العصور المتأخرة، وفي العصر الحديث، تستجيب لحاجة الناس إلىٰ تعلم التجويد، وإتقان تلاوة القرآن، ولا يتسع المقام للحديث المفصل عنها.

---

(١) التنبيه على اللحن (٢٧).

الفصل السادس

تفسير القرآن الكريم، والعلوم المتعلقة به

يتضمن هٰذا الفصل ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: معنى التفسير والتأويل.

المبحث الثاني: نشأة علم التفسير وتطور التأليف فيه.

المبحث الثالث: العلوم المتعلقة بعلم التفسير.

المبحث الأول
معنى التفسير والتأويل

التفسير في اللغة مصدر الفعل فَسَّرَ، من الفَسْرِ وهو البيان، يقال: فَسَرَ الشيء يَفْسُرُهُ ويَفْسِرُهُ فَسْراً أَبَانَهُ، ومِثْلُهُ: فَسَّرَهُ بتشديد السين تفسيراً، فالتفسير في أصل اللغة يقصد به كشف المراد عن اللفظ المُشْكِلِ[١].

والتفسير اصطلاحًا: **بيان معاني القرآن الكريم**[٢]، أو هو علم يعنى بتوضيح معنى الآيات وشأنها، وبيان قصتها والسبب الذي نزلت فيه، بلفظ يدل عليه دلالة واضحة[٣].

ويستعمل أحيانًا بجانب مصطلح (التفسير) مصطلح (التأويل)، والتأويل مشتق من الأَوْلِ، وهو الرجوع، يقال: أَوَّلَ الكلام وتَأَوَّلَهُ: دَبَّرَهُ وقَدَّرَهُ وفَسَّرَهُ، فالتأويل في أصل اللغة هو تفسير ما يؤول إليه الشيء[٤].

وحَمَلَ عدد من التفاسير القديمة كلمة (التأويل) في عنوانه، مثل تفسير الطبري المسمى: (جامع البيان عن تأويل آي القرآن)، واستعمل الطبري في تفسيره كلمة (التأويل) وهو يريد بها التفسير، واستعمل عبارة (أهل التأويل) ويريد بها: (أهل التفسير)، وذلك أقرب إلى الاستعمال اللغوي للكلمة[٥].

لكن كلمة (التأويل) تطورت دلالتها، فبينما كانت تعني التفسير وبيان المعنى، كما قال ثعلب: «التأويل والمعنى والتفسير واحد»[٦]، صارت تدل صرف اللفظ عن ظاهره، وحمله على معنى مرجوح لقرينة تدل عليه[٧].

---

(١) ينظر: لسان العرب لابن منظور (٥/ ٥٥).
(٢) ينظر: التحرير في أصول التفسير لمساعد الطيار (١٥)، ومفهوم التفسير والتأويل (٥٤).
(٣) التعريفات للجرجاني (٤٠).
(٤) ينظر: لسان العرب لابن منظور (١١/ ٣٣).
(٥) ينظر: مفهوم التفسير والتأويل لمساعد الطيار (٩٧).
(٦) ينظر: لسان العرب لابن منظور (١١/ ٣٣).
(٧) ينظر: مفهوم التفسير والتأويل لمساعد الطيار (١٠٣).

ويلزم الدارس التنبه لهذا التطور في استعمال كلمة التأويل، وهو ينظر في التفاسير في مختلف اتجاهاتها ومناهجها، وقد لخص ابن جُزَيٍّ الغرناطي في مقدمة كتابه التسهيل استعمال الكلمتين بقوله: «فإن قيل: ما الفرق بين التفسير والتأويل؟ فالجواب أن في ذلك ثلاثة أقوال:

الأول: أنهما بمعنىً واحد.

الثاني: أن التفسير للفظ، والتأويل للمعنىٰ.

الثالث: أن التفسير هو الشرح، والتأويل هو حَمْلُ الكلام علىٰ معنىً غير المعنىٰ الذي يقتضيه الظاهر، بموجب اقتضىٰ أن يُحْمَلَ علىٰ ذلك، ويَخْرُجَ عن ظاهره»[1].

ويتوقف تحقيق مقاصد التنزيل للقرآن الكريم، والتي تتلخص بهداية الناس لِمَا فيه صلاح دنياهم وأخراهم، علىٰ فهم معاني القرآن الكريم، ومن ثَمَّ حظي هٰذا الموضوع بعناية علماء الأمة من لدن عصر التنزيل إلىٰ زماننا هٰذا، وصار مصطلح علم التفسير عنوانًا للمباحث المتعلقة بالموضوعات الخاصة بفهم معاني الآيات، وصار علم التفسير من أوسع علوم القرآن وأوسعها مؤلفات، وسوف نتحدث في هٰذا الفصل باختصار عن نشأة علم تفسير القرآن وتطور التأليف فيه، وعن العلوم المرتبطة به.

(١) التسهيل لابن جزي الغرناطي (١/ ١٦).

المبحث الثاني
نشأة علم التفسير وتطور التأليف فيه

علم التفسير من أقدم العلوم الإسلامية نشأة وتدوينًا، فقد ارتبطت نشأته بنزول القرآن الكريم وتعلمه وتلاوته، وكان رسول الله ﷺ أول مفسر للقرآن، فقد كان يُفَسِّرُ ما يُشْكِلُ على الصحابة فهمه من آيات القرآن الكريم، ثم خَلَفَهُ من بعده العلماء من أصحابه، لا سيما عبد الله بن عباس الملقب بترجمان القرآن، وأخذ التابعون العلم عن الصحابة، وظهر منهم مفسرون مشهورون، ظلت جهودهم في التفسير موضع تقدير العلماء من بعدهم.

وتوسَّعَتْ مباحث التفسير في عصر تابعي التابعين، ثم تعددت مناهج المفسرين بعد ذلك، ولم تنقطع جهود علماء المسلمين في توضيح معاني القرآن في العصور المتعاقبة، لحاجة الناس إلى ذلك، ولا يتسع المقام للحديث المفصل عن ذلك، وسوف نشير إلى أهم معالم نشأة علم التفسير وتطور التأليف فيه.

المطلب الأول: التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي

يتردد في كتب علوم القرآن وفي المباحث المتعلقة بالتفسير مصطلح التفسير بالمأثور، ومصطلح التفسير بالرأي، واستعمل بعض العلماء عبارة التفسير بالرواية، والتأويل بالدراية[١]، وهي مرادفة لقولهم: التفسير بالمأثور، والتفسير بالرأي.

ويعني التفسير المأثور بيان معاني آيات القرآن الكريم بالاعتماد على ما رُوِيَ عن رسول الله ﷺ وعن الصحابة والتابعين من تفسير القرآن، وقولهم:التفسير بالرأي يراد منه تفسير القرآن بالاجتهاد وفق ضوابط معينة[٢].

---

(١) ينظر: البرهان للزركشي (٢/ ١٥٠).

(٢) ينظر: التفسير والمفسرون (١/ ١٥٢، و٣٥٥). وللدكتور مساعد الطيار استدراكات علمية دقيقة على

وتحدث ابن خلدون عن نشأة هٰذين الاتجاهين في التفسير، فقال: « وأما التفسير فاعلم أن القرآن نزل بلغة العرب وعلىٰ أساليب بلاغتهم، فكانوا كلهم يفهمونه ويعلمون معانِيَهُ في مفرداته وتراكيبه، وكان ينزل جُمَلاً جُمَلاً، وآياتٍ آياتٍ، لبيان التوحيد والفروض الدينية، بحسب الوقائع، ومنها ما هو في العقائد الإيمانية، ومنها ما هو في أحكام الجوارح، ومنها ما يتقدم ومنها ما يتأخر ويكون ناسخًا له، وكان النبي ﷺ يُبَيِّنُ المُجْمَلَ، ويُمَيِّزُ الناسخَ مِنَ المنسوخ، ويُعَرِّفُهُ أصحابه، فَعَرَفُوهُ وعَرَفُوا سبب نزول الآيات، ومقتضى الحال منها...

«ونُقِلَ ذٰلك عن الصحابة، رضوان الله تعالىٰ عليهم أجمعين، وتداول ذٰلك التابعون من بعدهم، ونُقِلَ ذٰلك عنهم، ولم يزل متناقَلاً بين الصدر الأول والسلف حتىٰ صارت المعارف علومًا ودُوِّنَتِ الكتب، فَكُتِبَ الكثير من ذٰلك، ونُقِلَتِ الآثار الواردة عن الصحابة والتابعين، وانتهىٰ ذٰلك إلى الطبري والواقدي والثعالبي، وأمثال ذٰلك من المفسرين، فكتبوا فيه ما شاء الله أن يكتبوه من الآثار.

« ثم صارت علوم اللسان صناعية، من الكلام في موضوعات اللغة وأحكام الإعراب والبلاغة في التراكيب، فَوُضِعَتِ الدواوين في ذٰلك، بعد أن كانت ملكاتٍ للعرب، لا يُرْجَعُ فيها إلىٰ نَقْلٍ ولا كتاب، فَتُنُوسِيَ ذٰلك وصارت تُتَلَقَّىٰ من كتب أهل اللسان، فاحْتِيجَ إلىٰ ذٰلك في تفسير القرآن لأنه بلسان العرب وعلىٰ منهاج بلاغتهم، وصار التفسير علىٰ صنفين:

تفسيرٌ نقليٌّ مُسْنَد إلى الآثار المنقولة عن السلف، وهي معرفة الناسخ والمنسوخ، وأسباب النزول، ومقاصد الآي، وكان ذٰلك لا يُعْرَفُ إلا بالنقل عن الصحابة والتابعين، وقد جَمَعَ المتقدمون في ذٰلك وأَوْعَوْا...

والصنفُ الآخَرُ من التفسير وهو ما يَرْجِعُ إلى اللسان، من معرفة اللغة والإعراب

استعمال مصطلحي التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي، يمكن الاطلاع عليها في كتابه (مفهوم التفسير والتأويل). (٤٧-٥٠).

والبلاغة في تأدية المعنى بحسب المقاصد والأساليب، وهذا الصنف من التفسير قَلَّ أن ينفرد عن الأول، إذ الأول هو المقصود بالذات...»[١].

واختصت بعض كتب التفسير بإيراد التفسير المأثور، ومزج بعضها بين التفسير المأثور والتفسير بالرأي، وهو ما سيتضح لك من خلال الحديث عن مناهج المفسرين.

المطلب الثاني: أشهر مناهج المفسرين، وأحسن طرق التفسير

ازدادت الحاجة إلى التفسير بعد عصر الصحابة والتابعين، وتطورت الحياة العلمية في الأمة الإسلامية تطوراً سريعًا، وتنوعت المعارف والثقافات، وبرزت المذاهب الفقهية، والاتجاهات الفكرية، وانعكس ذلك على تفسير القرآن الكريم، فتأثرت التفاسير بثقافة المفسر وتوجهاته الفكرية، فتنوعت تبعًا لذلك. وسوف نشير في هذا المطلب إلى أهم مناهج المفسرين، وإلى أحسن طرق التفسير.

أولاً: أشهر مناهج المفسرين

قد يكون من الصعب تصنيف التفاسير في اتجاهات محددة، لتنوع ثقافة المفسرين وتداخلها، لكن لا يخفى على الدارس غلبة لون معين من العلوم على بعض التفاسير، مما يجعل تصنيفها في مناهج واتجاهات معينة مقبولاً، ومن أشهر مناهج المفسرين ما يأتي:

١- **التفسير المأثور**، وهو الذي يعتمد على ما رُوِيَ عن النبي ﷺ، وعن الصحابة والتابعين وتابعيهم، من روايات تتعلق بتفسير القرآن، ومن أشهر التفاسير التي سارت على هذا المنهج: تفسير الطبري، وتفسير ابن كثير.

٢- **التفسير اللغوي**، وهو الذي يعنى ببيان معاني الكلمات الغريبة في القرآن، وإعراب ما أشكل على البعض من تراكيبه، ومن أشهر كتب هذا المنهج: معاني القرآن للفراء، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج، واهتم بعض المفسرين بالجانب البلاغي في القرآن، مثل تفسير الكشاف للزمخشري.

٣- **التفسير الفقهي**، وهو الذي يعنى بتفسير آيات الأحكام الفقهية، ومن أشهر

---

(١) مقدمة تاريخ ابن خلدون (١/ ٥٥٣-٥٥٥).

تفاسير هٰذا المنهج: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي.

٤- **التفسير العقلي**، وهو الذي تغلب عليه النظرة العقلية، والتوسع في تفسير آيات العقيدة والآيات الكونية، بالاستناد إلىٰ ما تمخضت عنه الحضارة الإسلامية من ثقافة وعلوم عقلية في العصور المتعاقبة، ومن أشهر تفاسير هٰذا الاتجاه تفسير الرازي، المسمىٰ بالتفسير الكبير أو مفاتيح الغيب.

٥- **التفسير الإشاري**، وهو التفسير الذي يُعْنَىٰ بالجانب الروحي، وتغلب عليه عبارات أهل التصوف، ومن أشهر تفاسير هٰذا المنهج: (لطائف الإشارات) للقشيري، وغَلَبَ التفسير الباطني علىٰ بعض تفاسير هٰذا الاتجاه، مثل تفسير ابن عربي، فكان ذٰلك سبباً للتحفظ من الرجوع إلىٰ مثل هٰذه التفاسير في استجلاء معاني القرآن الكريم.

٦- **تفاسير الفرق الإسلامية**، وهي التفاسير التي وضعها بعض المفسرين من الفرق الإسلامية التي ظهرت بعد عصر الصحابة والتابعين، لنصرة عقائدهم، مثل تفاسير المعتزلة، والخوارج، وغيرهم. وهي تخالف تفاسير جمهور أهل السُّنَّةِ، وينبغي التَّنَبُّهُ لما فيها من أفكار منحرفة.

ثانياً: أحسن طرق التفسير

تحدَّث بعض علماء السلف، عن أحسن طرق التفسير، فقال: إن أصح الطرق في ذٰلك أن يُفَسَّرَ القرآن بالقرآن، فما أُجْمِلَ في مكان فإنه قد فُسِّرَ في موضع آخر، وما اخْتُصِرَ في مكان فإنه قد بُسِطَ في موضع آخر.

فإنْ لم يوجد للآية نظير مُفَسِّرٌ في القرآن يُنْظَرْ في السُّنَّةِ، فإنها شارحة للقرآن وموضحة له، قال الطبري: « فرسول الله ﷺ أَعْلَمُ بما أَنْزَلَ الله عليه، وليس لأحد مع قوله، الذي يصح عنه، قَوْلٌ»[١]، وقال ابن تيمية: «إن القرآن والحديث إذا عُرِفَ تفسيره من جهة النبي ﷺ... لم يُحْتَجْ في ذٰلك إلىٰ أقوال أهل اللغة ولا غيرهم»[٢].

---

(١) جامع البيان (٢٢/ ١٨).

(٢) مجموع الفتاوىٰ (١٣/ ٢٧).

وإذا لم نجد التفسير في القرآن ولا في السنة رَجَعْنَا في ذلك إلىٰ أقوال الصحابة، فإنهم أدرىٰ بذلك لِمَا شاهدوه من القرائن والأحوال التي ٱخْتُصُّوا بها، ولِمَا لهم من الفهم التام، والعلم الصحيح، والعمل الصالح، لا سيما علماءَهم وكبراءَهم، كالأئمة الأربعة الخلفاء الراشدين، والأئمة المهديين مثل عبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس، رضي الله عنهم، وغيرهم.

وإذا لم تجد التفسير في القرآن ولا في السُّنَّة، ولا وجدته عن الصحابة، فقد رجع كثير من الأئمة في ذلك إلىٰ أقوال التابعين من مفسري القرآن، وإلىٰ غيرهم من التابعين وتابعيهم، فإذا أجمعوا على الشيء، فلا يُرْتَابُ في كونه حجة، فإن اختلفوا فلا يكون قول بعضهم حجة علىٰ بعض، ولا علىٰ من بعدهم، ويُرْجَعُ في ذلك إلىٰ لغة القرآن، أو السُّنَّة، أو عموم لغة العرب، أو أقوال الصحابة في ذلك[1].

المطلب الثالث: التفسير في العصر الحديث

إنَّ حاجة الأمة إلىٰ فهم القرآن الكريم وٱستلهام معانيه مستمرة ومتجددة، ووجد دعاة الإصلاح ورواد النهضة الإسلامية الحديثة أنَّ الناس بهم حاجة إلى الفهم الصحيح للدين، وحاول بعض العلماء كتابة تفاسير للقرآن بأسلوب يناسب حاجة الناس في هذا العصر، فظهرت تفاسير كثيرة، مختصرة ومطولة، بعضها يهتم بأمور العقيدة أكثر من الجوانب الأخرىٰ، وبعضها يهتم بالجوانب التربوية، وبعض يركز على القضايا العلمية، وهي مختلفة المناهج والاتجاهات أيضًا.

ومن التفاسير الحديثة المُطَوَّلَةِ:

(التحرير والتنوير) للشيخ محمد الطاهر بن عاشور المتوفىٰ سنة (١٣٩٣هـ = ١٩٧٣م).

و(أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن)، للشيخ محمد الأمين بن محمد المختار

(١) ينظر: مجموع الفتاوىٰ لابن تيمية (١٣/ ٣٣٣، و٣٤٣).

الجكني الشنقيطي، والمتوفىٰ بمكة سنة ١٣٩٣هـ.

ومن التفاسير الحديثة المتوسطة:

(تيسير الكريم المنان في تفسير كلام المنان)، للشيخ عبد الرحمٰن بن ناصر السعدي، المتَوَفَّىٰ سنة ١٣٧٦هـ.

و(صفوة التفاسير) للشيخ محمد علي الصابوني، المتَوَفَّىٰ سنة ١٤٤٢هـ.

ومن التفاسير الحديثة المختصرة:

(صفوة البيان في تفسير القرآن) للشيخ محمد حسنين مخلوف.

و(التفسير الميسر) الذي أصدره مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.

و(المختصر في تفسير القرآن الكريم) الذي أصدره مركز تفسير للدراسات القرآنية.

ولا يستغني قارئ القرآن الكريم في زماننا عن النظر في أحد التفاسير، لفهم معاني الآيات التي يقرؤها، وأقل ما يجزئ في ذٰلك أن يقرأ في أحد التفاسير المختصرة، وكلما ترقىٰ في قراءة كتب التفسير كلما انكشفت له معاني الآيات الكريمة، وحصل التدبر والاتعاظ بها.

المبحث الثالث
العلوم المتعلقة بعلم التفسير

ثَمَّةَ موضوعاتٌ تساعد في فهم معاني القرآن فهماً سليماً، مثل موضوع المحكم والمتشابه، ومثل تدبر القرآن، وثمة موضوعات تتعلق بفهم معاني القرآن الكريم من جانب، ولها ارتباط بعلوم أخرىٰ، مثل موضوع الناسخ والمنسوخ الذي يرتبط بالفقه وأصوله، ومثل قصص القرآن الذي له تعلق بالتاريخ والسيرة، ومثل ترجمة القرآن الذي له ارتباط باللغة، ومثل إعجاز القرآن الذي له تعلق بالبلاغة وأساليب العربية في التعبير.

ومن المفيد للقارئ الاطلاع علىٰ هٰذه الموضوعات، ولو بشكل مختصر، لأنها تفتح له نوافذ لفهم كثير من آيات القرآن الكريم فهماً صحيحاً، والوقوف علىٰ أسرار التعبير فيه.

المطلب الأول: المحكم والمتشابه

تتفاوَتُ قُوَى البشرِ في الفَهم والإدراك بحسب معارِفهم ومواهبهم، ومن ثَمَّ فقد تفاوَتَ فهمُ الناس لآياتِ القرآن، وإلىٰ جانبِ ذٰلك فإنَّ المعاني التي عَبَّرَتْ عنها الآياتُ الكريمةُ منها ما موضوعه ظاهرٌ للعيان، لا يَختَلِفُ في إدراكه اثنان، ومنها ما يتحدَّث عن أمورٍ غَيبيَّةٍ، قد تَخفىٰ دلالتها على القارئ، ويَنبني علىٰ هٰذا التفاوت موضوعُ المُحكَم والمُتشابَه في القرآن، وهما من المصطلحات القرآنية التي أفاض العلماء في دراستها، ونحاول الإلمامَ بخلاصة ما قالوه عنها في هٰذا المطلب.

والمُحْكَمُ في اللغة: اسمُ مَفعول من الفعل: (أَحكَمَ)، وأَحْكَمَ الأمر: أتقنه، فالمُحْكَمُ إذن: المُتقن[١]. والقرآن من هٰذه الناحية كله مُحْكَمٌ، فقد وَصَفَ الله تعالىٰ الكتاب (وهو القرآن) بأنه: ﴿أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ﴾ أي: أُتْقِنَتْ، والقرآنُ الكريم كلُّه مُحْكَمٌ من جهةِ الإحكام والإتقان، والفَصَاحَة وصِحَّة المعاني[٢].

---

(١) ينظر: لسان العرب لابن منظور (١٢/ ١٤٠-١٤٣).

(٢) ينظر: البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي (٦/ ١١٨-١١٩)، واللباب لابن عادل (٥/ ٣٠).

والمُتشابَه في اللغة: اسمُ فاعل من الفعل (تَشَابَهَ)، وأصلُ مادة (شَبَهَ) تدل على التَّشاكُل[١]، وهو التَّماثُل[٢]، واشتَبَه الأمرُ: أشكلَ والْتَبَس[٣].

ووَصَفَ الله تعالى الكتاب بأنه متشابه، حيث قال: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا﴾ [الزمر: ٢٣]، أي يُشْبِهُ بعضُه بعضًا في الحق والصدق والإعجاز، فالقرآنُ كلُّه مُتَشابِهٌ مِن حيثُ إنه يُشبِه بعضُه بعضًا في ذلك، الآية تُشبِهُ الآيةَ، والحَرفُ يُشبِهُ الحَرفَ.

وكانت الآيةُ السابعةُ من سورةِ آل عمران مَوضعَ اهتمام المُفسِّرين، وعلماءِ العربية وإعرابِ القرآن، وعلماءِ الوَقفِ والابتداء، وشَكَّلَتِ المَباحثُ التي دارَتْ حولَها أحدَ أنواع علوم القرآن، وهو المُحكَمُ والمُتَشابِه الذي أشرنا إليه، كما نجد ذلك في كتاب (البرهان في علوم القرآن) للزركشي[٤]، وكتاب (الإتقان في علوم القرآن) للسيوطي[٥].

ودارَت المُنَاقشات المُتَعلِّقةُ بالآيةِ الكريمة حول تفسير (المُحْكَم)، وتفسير (المُتَشابِه)، وحول الوَقف على لفظ الجلالة فيها، أو على كلمة (الرَّاسخون)، وحول إعراب كلمة (الرَّاسخون) وما يترتَّبُ على ذلك من اختلافٍ في التفسير، وسوف نذكر الآية الكريمة، ثم نُلخِّصُ ما دار حولها من مناقشات، وما يترتَّب على ذلك من آثارٍ عملية على التفسير.

قال الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾.

---

(١) ينظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٣/ ٢٤٣).
(٢) ينظر: لسان العرب لابن منظور (١١/ ٣٥٦).
(٣) ينظر: لسان العرب لابن منظور (١٣/ ٥٠٣-٥٠٥).
(٤) ينظر: البرهان (٢/ ٦٨-٧٧)، النوع السادس والثلاثون.
(٥) ينظر: الإتقان (٤/ ١٣٣٥-١٣٩٨)، النوع الثالث والأربعون.

١- اختلف المُفسِّرون في تفسير (المُحكَم) و(المُتَشابِه) على قولين مَشهورَين، هما[١]:

الأول: المُحكَم ما عُرِفَ المُراد منه، والمُتَشابِه ما استأثَر الله بعلمه.

الثاني: المُحكَم: النَّاسخ من الآيات، والمُتَشابِه: المَنسوخ.

٢- واختلف المُفسِّرون في كون الرَّاسِخين في العلم يَعلَمون المُتَشابِه أو لا يَعلمونه، فالذين فسَّروا (المُتَشابِه) بالتفسير الأول قالوا: إنَّ الرَّاسِخين في العلم لا يَعلمون المُتَشابِه، والذين فسَّروه بالتفسيرِ الثاني قالوا: إنَّ الرَّاسِخين في العلم يَعلمون المُتَشابِه.

٣- واختلف العلماء في إعراب (والرَّاسخون)، فمَن أخذَ بالتفسير الأول لكلمةِ (المَتَشابِه) قال: الواو للاستئناف، و(الرَّاسخون) مبتدأ، ومن أخذ بالتفسير الثاني قال: الواو للعطف، و(الرَّاسخون) مَعطوف على لفظ الجلالة[٢].

٤- واختلف علماءُ الوَقفِ والابتداء بناءً على الاختلاف السابق، فقال من أخذ بالتفسير الأول: إنَّ الوَقفَ التَّامَّ عند قوله تعالى: (وما يعلمُ تأويلَهُ إلا الله)، والآخذون بالتفسير الثاني قالوا: الوَقفَ على كلمة (والرَّاسخون)[٣].

وذهب جمهورُ العلماء إلى أنَّ الله تعالى هو الذي يَعلمُ تأويلَ المُتَشابِه، والرَّاسخون لا يعلمون تأويلَ المُتَشابِه، ولكنهم يقولون: آمنَّا به كلٌّ من عند ربنا، قال ابن الأنباري: وهو قولُ أكثر أهل العلم[٤]، واستدلُّوا على ذلك بعدة أمور، منها[٥]:

١. ما أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما، عن عائشة رضي الله عنها، قالت: تلا رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ﴾، قالت: قال رسول الله ﷺ: (فإذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابَه منه فأولئك الذين سَمَّى اللهُ، فاحْذَرُوهُمْ)[٦].

---

(١) ينظر: البرهان للزركشي (٢/ ٦٨-٦٩)، والإتقان للسيوطي (٤/ ١٣٣٦-١٣٣٨).

(٢) ينظر: إعراب القرآن للنحاس (١/ ١٤٤)، والتبيان في إعراب القرآن للعكبري (١/ ٢٣٨-٢٣٩).

(٣) ينظر: إيضاح الوقف والابتداء لابن الأنباري (٢/ ٥٦٥-٥٦٨)، والقطع والائتناف للنحاس (١٢٥-١٢٦).

(٤) ينظر: إيضاح الوقف والابتداء (٢/ ٥٦٥).

(٥) ينظر: الإتقان للسيوطي (٤/ ١٣٤٢-١٣٤٢).

(٦) صحيح البخاري (٦/ ٣٣، رقم: ٤٥٤٧)، وصحيح مسلم (٤/ ٢٠٥٣، رقم: ٢٦٦٥).

٢. ما رُوِيَ عن أُبيِّ بنِ كَعبٍ أنه كان يقرأ: (وما يَعلم تأويلَه إلا الله، ويقول الرَّاسخون في العلم آمنا به)[١]، وهٰذه القراءة، وإن كانت شاذَّةً لعَدَمِ تواتُرها، ومخالَفَتِها خطَّ المُصحفِ، أقلُّ درجاتها أنها تفسيرٌ عن صحابيٍّ تدلُّ علىٰ أنَّ الراسخين في العلم لا يعلمون تأويلَه.

٣. ويُؤيِّدُ ذٰلك أنَّ الآيةَ دلَّت علىٰ ذَمِّ مُتَّبِعِي المُتَشابِه ووَصْفِهِم بالزَّيغِ وابتغاء الفتنة، وعلىٰ مَدحِ الذين فوَّضوا العلمَ إلى الله، وآمنوا بما أنزل الله: مُحكَمِه ومُتَشابِهِه، قائلين: كُلٌّ من عند الله.

وانعكسَ الاختلافُ في معنى المُحكَم والمُتَشابِه علىٰ مواقفِ المُفسِّرين، وهو ما يُوضِّح لنا قولَ عبد الله بن عباس ﷺ: «أَنَا ممَّن يَعلَمُ تأويلَه»[٢]، فابنُ عباس فَسَّرَ المُتَشابِهات بأنَّهنَّ المَنسوخات، ومِن ثَمَّ قال بأنه يَعلَمُ تأويلَها، وذهب مَذهَبَه هٰذا ابنُ مسعودٍ وقتادة والضَّحَّاك بنُ مُزَاحم[٣]، فمن قال إنه يَعلَمُ المُتَشابِه قصَدَ به المَنسوخَ، ومن قال: إنَّ الرَّاسِخين لا يَعلمون المُتَشابِه قصَدَ الآيات التي تتحدَّث عن أمورِ الغيب.

وتَلزَمُ الإشارةُ إلىٰ أنَّ كلمةَ (التأويل) في القرآن استُعمِلَت في مَعنَيين:

الأول: بمعنى التفسير، كما في الآية السابعة من سورة آل عمران التي نتحدَّث عنها.

والثاني: بمعنىٰ عاقبة الشيءِ وحقيقته وما يَؤول إليه، كما في قوله تعالىٰ: ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأۡوِيلَهُۥۚ يَوۡمَ يَأۡتِي تَأۡوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبۡلُ﴾[الأعراف:٥٣][٤].

---

(١) ينظر: معاني القرآن للفراء (١/ ١٩١)، وتفسير الطبري (٦/ ٢٠٤)، وشواذ القراءات للكرماني (١٠٧)، واختلف النقل عن ابن عباس، فروىٰ عنه عبد الرزاق في تفسيره (١/ ٣٨٤، رقم الحديث ٣٧٧) أنه قرأ: (ويقول الراسخون في العلم)، وروى الحاكم في المستدرك (٢/ ٢٩٠، رقم: ٣١٤٣) أنه قرأ: (والراسخون في العلم يقولون).

(٢) ينظر: تفسير الطبري (٦/ ٢٠٣).

(٣) ينظر: تفسير الطبري (٦/ ١٧٥-١٧٦).

(٤) ينظر: تفسير الطبري (٦/ ٢٠٤)، والهداية إلىٰ بلوغ النهاية لمكي (٤/ ٢٣٩٥)، ولسان العرب لابن منظور (١١/ ٣٣-٣٤)، والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي (٣/ ٢٧)، والبرهان للزركشي

وثمَّةَ ملاحظتان تتعلَّقان بما تقدَّم:

الأولىٰ: لا يعني قولُ جمهور العلماء: إنَّ مِن القرآن ما استأثر الله بعِلمه أنه ليس له معنىٰ أو حقيقة يدلُّ عليها، وإنما يَعني أنَّ الوقوفَ علىٰ حقيقةِ معناه ليس في طوق البشرِ» لعدمِ نظيرِه عندنا»[١]، ومِن ثمَّ كان السلفُ يقولون في مثل هٰذه الآيات: «قراءةُ الآيةِ تفسيرُها»، أي: أنَّ القارئ يَقِفُ عند الدلالةِ الظاهرةِ لألفاظها، من غير تأويلٍ قد يُؤدِّي إلىٰ تحريفِ معناها[٢].

والثانية: ذَهَبَ بعض العلماء أنَّ التَّشابُه أمرٌ نِسبيٌّ، فقد يَتَشَابَه عند هٰذا ما لا يَتَشَابَه عند غيره، ولٰكن هناك آياتٌ مُحكَمَاتٌ لا تشابُه فيها علىٰ أحدٍ، وهناك آياتٌ مُتَشَابِهاتٌ لا سبيلَ لأحدٍ للقولِ في تفسيرها[٣].

(٢/ ١٤٨)، وتاج العروس للزبيدي (٢٨/ ٣٢-٣٣).

(١) ينظر: مجموع الفتاوىٰ لابن تيمية (١٣/ ٢٨٠).

(٢) ينظر: المصدر نفسه (١٣/ ٢٩٦).

(٣) ينظر: المصدر نفسه (١٣/ ١٤٤).

المطلب الثاني: النسخ في القرآن

النَّسْخُ من المصطلحات الشرعية، وله علاقةٌ مباشرة بالأحكام الشرعية وبتفسير الآيات القرآنية، ومن ثَمَّ اعتنىٰ به الفقهاء والأصوليون والمفسِّرون، وقد وقع في القرآن الكريم والسنة النبوية أيضًا، والذي يعنينا في هٰذا المطلب هو النسخ في القرآن.

(١) تعريف النسخ في اللغة والاصطلاح:

النسخ في اللغة له معنيان:

الأول: الإزالة، تقول العرب: نَسَخَتِ الشمسُ الظِّلَّ، أي: أزالته، وحَلَّتْ مَحَلَّهُ.

الثاني: نقلُ الشيءِ من مكانٍ إلىٰ مكانٍ دون تغييرٍ فيه، ومنه نَسْخُ الكتب، وهو أنْ تَكْتُبَ كتابًا عن كتابٍ حرفًا بحرف وكلمة بكلمة[١].

والنسخُ في اصطلاح الشريعة - في القول المختار -: رَفْعُ الحكم الشرعي بدليلٍ شَرْعِيٍّ متأخِّر عنه[٢].

وهٰذا المعنى الشرعي يرتبط بالمعنى اللغوي الأول للنسخ[٣].

وكان الصحابةُ والتابعون وتابعوهم يَرَوْنَ أنَّ النَّسخَ مطلقُ التغيير الذي يطرأ علىٰ بعض الأحكام، فيرفعها ليحلَّ غيرُها مَحلَّها، أو يُخصِّص ما فيها من عموم، أو يُقيِّد ما فيها من إطلاق.

فلذا ينبغي التنبُّه عند استعمال مصطلح النسخ، والحذر من إطلاق النسخ علىٰ بعض صور التخصيص، كأن ننسبَ إلىٰ أحدِ علماء الصحابة والتابعين القولَ بأنَّ آيةً ما منسوخةٌ، مثل قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ﴾ من غير أنْ نُبيِّن أنه يريد بالنسخ الاستثناء[٤]،

---

(١) ينظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٥/ ٤٢٤)، ولسان العرب لابن منظور (٣/ ٦١).

(٢) ينظر: النسخ في القرآن الكريم لمصطفىٰ زيد (١/ ١٠٥)، والتحرير في أصول التفسير لمساعد الطيار (٢١٨)، وينظر في مناقشة تفصيلات تعريف النسخ: الإحكام في أصول الأحكام للآمدي (٣/ ٩٨).

(٣) ينظر: الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه لمكي (٤٣).

(٤) ينظر: الناسخ والمنسوخ لابن حزم (٦٧).

لأنَّ معنى النسخ قد استقرَّ عند علماء الأصول والمؤلفين في الناسخ والمنسوخ في ما بعدُ، على أنه رفع الحكم الشرعي بدليلٍ شرعيٍّ متأخِّرٍ عنه[١].

(٢) أدلة ثبوت النسخ:

ثَبَتَ النسخُ بدلالة آيات في القرآن الكريم، وبدلالة أحاديث في السنة النبوية، منها:

١. قوله تعالى: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ١٠٧].

٢. وقوله سبحانه: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ١٠١].

٣. وقول رسول الله ﷺ: «**نهيتكم عن زيارة القبور، فَزُورُوها**»[٢]. فالأمر بزيارة القبور ناسخ للنهي عنها.

(٣) ما يقع فيه النسخ:

لا يقع النسخ إلا في الأحكام، كالأوامر والنواهي، لأن الحاجة إلى التدرُّج في التشريع إنما تكون في الأحكام، أما الأخبار فلا يجوز وقوع النسخ فيها، لأن وقوع النسخ في الأخبار يُفْضِي إلى تكذيب الخبر المنسوخ، وهذا ممتنع في أخبار الكِتَابِ والسُّنَّة.

فالنسخُ لا يقعُ في الأمورِ الاعتقادية، ولا يقعُ أيضًا في ما أَخْبَرَ الله تعالى أنه قد وَقَعَ من أخبارِ الأنبياء والأمم السابقة، أو أنه سيقع من قيام الساعة وبَعْثِ الناس وحسابهم، وإنما يقع النسخُ في أحكام الشريعة التي تتضمَّن أمراً أو نهيًا، بحسب تقدير الله تعالى، وما جَرَى في علمه من المَصلحة في ذلك للناس[٣].

(٤) أهمية معرفة الناسخ والمنسوخ:

معرفة الناسخ والمنسوخ لا بد منها لمن يتصدَّى لتفسير كتاب الله عز وجل واستنباط

---

(١) ينظر: النسخ في القرآن الكريم لمصطفى زيد (١٠٧).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (٢/ ٦٧٢، رقم: ٩٧٧).

(٣) ينظر: الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه لمكي (٥٦).

الأحكام الفقهية، ومن ثَمَّ قال بعض العلماء: « ولا يجوز لأحدٍ أنْ يُفَسِّرَ كتابَ الله إلا بعد أنْ يَعرِفَ منه الناسخَ والمنسوخ»[١]، لأن الجهل بالناسخ والمنسوخ قد يؤدي إلىٰ الخطأ في التفسيروفي بيان الأحكام الشرعية.

والحكمةُ من النَّسخِ: **التدرُّجُ في تطبيق الأحكام الشرعية**، خاصَّة تلك التي صارت عاداتٍ متأصِّلةً في نفوس الناس، مثل شرب الخمر، فتأتي آياتٌ تَرتَقي بالمؤمنين باتجاه الحكم النهائي، ثم تأتي آياتٌ أخرىٰ بذلك الحكم، فتجدُ التَّجاوبَ منهم، فلمَّا قال الله تعالىٰ: ﴿فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ [المائدة: ٩١]، قالوا: انتهينا، يا رب[٢].

(٥) نماذج من الآيات المتفق علىٰ نسخها، والمختلف فيها:

وقوع النسخِ في القرآن الكريم أمرٌ متَّفقٌ عليه بين المفسِّرين والفقهاء والأصوليين، لكنهم اختلفوا في عدد الآيات التي وقع فيها النسخ بحسب تعريفهم للنسخ، وبحسب فهمهم للآيات، وهناك عددٌ من الآيات المتَّفق علىٰ وقوع النسخ فيها، وعددٌ من الآيات التي وقع الاختلاف فيها، ولا يتسع المقام لذكر كثيرٍ من الأمثلة من كلا النوعين، ومن ثَمَّ فإننا سوف نكتَفي ببعض الأمثلة لكلٍّ منهما.

فمثال ما اتُّفِقَ علىٰ وقوع النسخ فيه: عقوبة مُرتَكِبات الفاحشة في آية سورة النساء، وهي قوله تعالىٰ: ﴿فَأَمۡسِكُوهُنَّ فِي ٱلۡبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلۡمَوۡتُ أَوۡ يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلٗا﴾ [النساء:١٥]، فقد نُسِخَتْ بقوله تعالىٰ في سورة النور: ﴿فَٱجۡلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا مِاْئَةَ جَلۡدَةٖ﴾[النور: ٢][٣].

ومثاله أيضًا قوله تعالىٰ في سورة البقرة: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِۖ قُلۡ فِيهِمَآ إِثۡمٞ كَبِيرٞ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثۡمُهُمَآ أَكۡبَرُ مِن نَّفۡعِهِمَا﴾ [٢١٩]، وقوله تعالىٰ في سورة النساء: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعۡلَمُواْ مَا تَقُولُونَ﴾ الآية [النساء:٤٣].

---

(١) البرهان للزركشي (٢/ ١٥٨)، والإتقان للسيوطي (٤/ ١٤٣٥).

(٢) ينظر: تفسير الطبري (١٠/ ٥٦٩)، والمستدرك للحاكم (٤/ ١٤٣، رقم: ٧٢٢٤).

(٣) ينظر: الرسالة للشافعي (١٢٨ و٢٤٥)، والناسخ والمنسوخ لأبي عبيد (١٣٢)، وتفسير ابن أبي حاتم (٣/ ٨٩٤)، وقلائد المرجان ليوسف بن مرعي الكرمي (٨٦)، ومناهل العرفان للزرقاني (٢/ ٢٦٤).

ولم تحرم هاتان الآيتان الخمر، لكنهما كَرَّهَتَا المؤمنين فيها، وضَيَّقَتْ فرص تعاطيها[١]، ثم حُرِّمَتْ بآية المائدة، وهي قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝٩٠ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ فقالوا: قد انتهينا، يا رب[٢].

ومثال ما اختُلِف في نسخه: آيةُ السيف، وهي قوله تعالىٰ: ﴿فَٱقْتُلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ [التوبة: ٥]، فقد قيل: إنها نَسخَت مئةً وأربعًا وعشرين آية، حتىٰ قالوا: إنَّ قوله تعالىٰ: ﴿قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ﴾ [الأنعام: ٦٦] منسوخٌ بآية السيف[٣].

قال عَلَمُ الدِّين السَّخاوي: «وقد جعلوا آيةَ السيف ناسخةً لمئةٍ وأربع وعشرين آية، وليس ذلك عن يقينٍ منهم، وإنما يظنُّون إذا سمعوا أمرَ الله سبحانه وتعالىٰ لنبيِّه وللمؤمنين بالصبر، وترك الاستعجال ظنُّوا أنَّ ذلك منسوخٌ بآيةِ القتال، وإنّما يكون مَنسوخًا بآية القتال النهيُ عن القتال،... والنسخ إنما هو رفع حكم الخطاب الثابت بخطابٍ آتٍ بعده، لولاه لكان ثابتًا، وهٰذا واضحٌ.

فإن قيل: فما تَصنَعُ في ما يُروىٰ عن السلفِ كابن عباس ﷺ وغيره، فقد أطلقوا علىٰ ذلك النسخ؟ قلت: لم يُريدوا بالنَّسخِ ما حدَّدناه به، إنما كانوا يُسمُّون ما يُغَيِّرُ الأحوالَ نَسخًا»[٤].

---

(١) ينظر: تفسير الطبري (٨/ ٣٧٧، و١٠/ ٥٦٨).

(٢) ينظر: تفسير الطبري (١٠/ ٥٦٩)، والمستدرك للحاكم (٤/ ١٥٩)، والدر المنثور للسيوطي (٣/ ١٥٧)، ولباب النقول (له) ص (٨٦).

(٣) ينظر: زاد المسير لابن الجوزي (٢/ ٤١)، والمصفىٰ لابن الجوزي (٣١)، وجمال القراء للسخاوي (٣٩٨)، وقلائد المرجان للكرمي (١٠٤).

(٤) جمال القراء (٤٠٤-٤٠٥)، [في طبعة البواب (١/ ٣٠٨): ما يغير الأحوال نسخًا] وفي طبعة مروان العطية: (ما تغير الأحوال ناسخًا).

(٦) أهمُّ المؤلفات في الناسخ والمنسوخ في القرآن:

كَثُرَ كلام أهل العلم في مَوضوعِ الناسخِ والمَنسوخ في القرآن الكريم وفي السنةِ النبويةِ، لتعلُّقِه بتفسير القرآن واستنباط الأحكام، وقد كان ذلك في كتبٍ مُفردة، وفي فصولٍ وأبوابٍ من كتبِ علوم القرآن، وفي كتب أصول الفقه.

وتَصعُبُ الإحاطةُ بالمؤلفات المفردة في الباب لكَثرتها، فقد بلغت الأعمال المُفردة فيه ما يقرُبُ من (٢٥٠) كتابًا[١]، لذا فإننا سوف نكتفي بذكر ثلاثة كتبٍ قديمةٍ، وكتابٍ من الكتب المعاصرة، وهي:

١. الناسخ والمنسوخ في القرآن العزيز، لأبي عُبَيد القاسم بن سلَّام (٢٢٤هـ).

٢. الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم، لأبي جعفر محمد بن أحمد النَّحَّاس (٣٣٨هـ).

٣. الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم، لأبي بكر بن العربي (٥٤٣هـ).

٤. النسخ في القرآن الكريم، لـ د. مصطفىٰ زيد.

(١) كما جاء ذلك في موسوعة ببليوجرافيا علوم القرآن (القسم الأول: الناسخ والمنسوخ)، إعداد وفي بن فرح ياسين، إشراف أ. د. حكمت بشير ياسين، إصدار جامعة الملك عبد العزيز.

المطلب الثالث: تَدَبُّرُ القرآن الكريم

قراءة القرآن من أَعظمِ أنواعِ الذِّكرِ، ومن أفضلِ العبادات، فللقارئ بكلِّ حرفٍ يَتْلُوهُ عشرُ حسناتٍ، لكنَّ الهدف الأسمى من القراءة - مع كونها عبادةً - هو التدبُّر لمعاني الآيات، والاستجابة لتأثير تلك المعاني في النَّفْسِ، ليتحقَّق التفكُّرُ والتذكُّر، ثم الهداية والاسترشاد بتلك المعاني في مناحي الحياة، والتَّدَبُّرُ ثمرةٌ من ثمار تفسير القرآن الكريم، وسوف نتناول في هٰذا المطلب تعريفَ التدبُّر، وكيفية تحقُّقِهِ لقارئ القرآن.

(١) تعريف تَدَبُّرِ القرآن:

القرآن كلام الله تعالى، وكلمة (تَدَبُّر) المضافة إليه تُشير إلى عمليةٍ ذِهنيةٍ تُصاحِبُ قراءَته، أو تترتَّب عليها، ولمعرفة أبعادِ تلك العمليةِ يَلزَمُ النظرُ في المعنى اللغوي والأصل الاشتقاقي للكلمة، لأن المعنى اللغوي كثيراً ما يشير إلى المعنى الشرعي أو الاصطلاحي ويكشف عنه.

التَّدَبُّرُ لغةً: مصدرٌ من الفعل (تَدَبَّرَ)، على وزنِ (تَفَعَّلَ)، وفِعْلُهُ المُجرَّد: دَبَرَ، يقال: دَبَرَ الشَّيْءَ يَدْبُرُهُ، إذا جاءه من ورائه، ودُبُرُ كلِّ شيءٍ: عَقِبُهُ ومُؤَخَّرُهُ، ودُبُرُ الشهر: آخِرُهُ، وجمعه أدبار[١]. والتدبير في الأمر: أنْ تنظرَ في ما تَؤول إليه عاقِبَتُه، والتَّدَبُّرُ: التفكُّر فيه[٢].

وتدلُّ صيغة (تَفَعَّلَ) في العربية على التكلُّف[٣]، والكَلَفُ: الوُلوع بالشيء، مع شَغْلِ قلبٍ ومَشقَّةٍ، وتَكَلَّفْتُ الشَّيْءَ: تَجَشَّمْتُهُ على مَشقَّة[٤].

فالتدبُّر إذن: التفكُّر باجتهادٍ ومَشقَّةٍ في عاقِبَةِ الأمر، وما يؤول إليه.

والتدبُّر في دلالته القرآنية لا يَبتَعِدُ عن دلالَتِه اللغوية، وهو التفكُّر في معاني الآيات وما تؤول إليه، وهو ثمرة من ثمار الوقوف على تفسير الآيات، فلا تَدَبُّرَ من غير فهم

(١) ينظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٢/ ٣٢٤)، ولسان العرب لابن منظور (٤/ ٢٦٨).
(٢) ينظر: لسان العرب لابن منظور (٤/ ٢٧٣).
(٣) ينظر: البديع في علم العربية لابن الأثير (٢/ ٤١٢)، وشرح المفصل لابن يعيش (٤/ ٤٣٧).
(٤) ينظر: لسان العرب لابن منظور (٩/ ٣٠٧).

لكلام الله تعالىٰ[١].

قال أبو حيان الأندلسي في تعريف التَّدَبُّر: «وهو التفكُّر في الآيات، والتأمُّل الذي يُفضي بصاحبه إلى النظر في عواقبِ الأشياء»[٢]، وقال الخازن: «أصلُ التدبُّر النظر في عواقب الأمور والتفكُّر في أدبارها، ثم استُعمِلَ في كلِّ تفكُّرٍ وتأمُّل، يقال: تدبَّرتُ الشيءَ أي نظرتُ في عاقِبَتِه، ومعنىٰ تدبُّر القرآن تأمُّلُ معانيه، وتفكُّرٌ في حِكَمِه، وتبصُّرُ ما فيه من الآيات»[٣].

(٢) أهمية تدبُّر القرآن:

أنزلَ الله تعالى القرآنَ للتدبُّر والتفكُّر، وللاتِّعاظ والتذكُّر، فقد قال عزَّ وجلَّ: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [سورة ص: ٢٩]، قال العلماء: تُكْرَهُ قراءةُ القرآن بلا تَدَبُّرٍ[٤]، فالمَقصود من القراءة التدبُّر، والترتيل مُعِينٌ عليه[٥].

وقال الآجري: «والقليلُ من الدَّرْسِ للقرآن مَعَ الفِكْرِ فيه وتَدَبُّرِهِ أَحَبُّ إليَّ من قراءةِ الكثير مِنَ القرآن بغيرِ تَدَبُّرٍ ولا تَفَكُّرٍ فيه، وظاهِرُ القرآنِ يَدُلُّ علىٰ ذٰلك والسُّنَّةُ وقَوْلُ أَئِمَّةٍ مِنَ المسلمين»[٦].

ونقل أبو عمرو الدَّاني روايةً عن زيدِ بنِ ثابت ﷺ أنَّ رجلاً سأله عن قراءةِ القرآن في سَبْعٍ؟ فقال: «حَسَنٌ، ولَأَنْ أَقْرَأَهُ في عشرين أو في النصف أَحَبُّ إليَّ مِن أَنْ أَقْرَأَهُ في سَبْعٍ، وٱسْأَلْنِي عن ذٰلك؟ أُرَدِّدُهُ وأَقِفُ عليه»[٧].

---

(١) ينظر: مفهوم التفسير والتأويل لمساعد الطيار (١٨٧-١٨٩).

(٢) البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي (٩/ ١٥٣).

(٣) تفسير الخازن (١/ ٤٠٢).

(٤) البرهان للزركشي (١/ ٤٤٥).

(٥) ينظر: إحياء علوم الدين للغزالي (١/ ٢٧٧، و١/ ٢٨٢).

(٦) أخلاق حملة القرآن (١١٤).

(٧) البيان في عد آي القرآن (٦٤٢)، وينظر: فضائل القرآن لأبي عبيد (١٥٨)، وكتاب الزهد والرقائق لابن المبارك (٤٢٠)، ومصنف ابن أبي شيبة (٢/ ٢٤٢).

وقد أنكرَ الله تعالىٰ على الذين يَقْرَؤُونَ القرآنَ من غير تدبُّرٍ، فقال: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢]، وقال سبحانه: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ [سورة محمد: ٢٤]، قال الطبري رحمه الله: ﴿أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ يقول: أم أَقْفَلَ اللهُ علىٰ قلوبهم، فلا يَعقلون ما أنزل الله في كتابِه من المَواعظِ والعِبَر»[(١)].

(٣) أركان تدبُّر القرآن:

تَدَبُّرُ القرآن عملٌ يَنبُعُ من أعماقِ قلبِ القارئ وفِكرِه، ولا يتحقَّقُ بمجرَّدِ القراءة، فلا بد من وجود عددٍ من العناصر ليتحقَّق التدبُّر والتفكُّر، وينزاحَ عن القلب ما يَحولُ بينَه وبين ذلك، وهٰذه العناصر هي شروطُ التدبُّر أو أركانه، ومنها:

١. القراءة بالترتيل.

قال الله تعالىٰ: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل: ٤]، أي: بَيِّنْهُ تَبْيِينًا، والترتيلُ: التَّمَكُّثُ والتَّرَسُّلُ في القراءة، وذلك بإخراج كلِّ حرفٍ من مَخرَجه، مُوَفّىً جميع صفاته[(٢)]، قال الإمام الداني: «والترتيلُ يكون للتدبُّر والتفكُّر والاستنباط»[(٣)]. ومن ثَمَّ قال العلماء: يُستحبُّ الترتيلُ للتدبُّر، ولأنه أقربُ إلى الإجلال والتوقير، وأشد تأثيراً في القلب[(٤)].

٢. الإلمام بالتفسير.

فالتدبُّر يتوقَّفُ علىٰ معرفةِ معاني ألفاظ القرآن الظاهرة، ودلالة التركيب، ومُحالٌ أنْ يتدبَّرَ مَن لا يَعرِفُ المعاني[(٥)]، لأنَّ التدبُّرَ لا يُتصوَّر بدون الوقوف على المعاني[(٦)]، ومِن ثَمَّ فإنَّ علىٰ قارئ القرآن أنْ يَحرِصَ علىٰ مَعرفةِ التفسير بقدر ما يستطيع من ذلك، فإنه خيرُ مُعينٍ له علىٰ تدبُّر الآيات.

---

(١) تفسير الطبري (٢٢/ ١٧٩).

(٢) ينظر: لسان العرب لابن منظور (١١/ ٢٦٥).

(٣) التحديد (٦٨).

(٤) ينظر: إحياء علوم الدين للغزالي (١/ ٢٧٧)، والتبيان للنووي (٩١)، والإتقان للسيوطي (٢/ ٦٧٧).

(٥) ينظر: تفسير الطبري (١/ ٨٢).

(٦) ينظر: اللباب لابن عادل (١٤/ ١٦٦).

٣. حضور القلب، وتركُ حديثِ النَّفْسِ، والإعراضُ عن صوارفِ التركيز.

وذلك بأنْ يَشغَلَ قلبَه بالتفكير في معنىٰ ما يَلفِظُ به، فيعرف معنىٰ كلِّ آيةٍ، ويتأمَّل الأوامرَ والنَّواهي[١].

(٤) ثمرات تدبُّر القرآن:

جَمَعَتِ الآية الكريمة: ﴿لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [سورة ص: ٢٩] بين التدبُّر والتذكُّر، وكأنَّ ثمرةَ تدبُّرِ القرآن الكريم هي التذكُّر والاتِّعاظ.

قال الغزالي: «وتلاوة القرآن حقَّ تِلاوَتِه: هو أنْ يشتركَ فيه اللسانُ والعقلُ والقلبُ، فَحَظُّ اللسان تصحيحُ الحروفِ بالترتيل، وحظُّ العقلِ تفسيرُ المعاني، وحظُّ القلبِ الاتِّعاظُ والتأثُّر بالانزِجارِ والائتمار»[٢].

وقال ابن القيم: «وبالجملة فلا شيءَ أنفعَ للقلبِ من قراءةِ القرآن بالتدبُّر والتفكُّر، فإنه جامعٌ لجَميع مَنازل السائرين وأحوالِ العاملين ومَقامات العارفين، وهو الذي يُورثُ المَحبَّةَ والشَّوقَ والخوفَ والرَّجاءَ والإنابةَ والتوكُّلَ والرِّضا والتفويضَ والشكرَ والصبرَ، وسائرَ الاحوالِ التي بها حياةُ القلبِ وكمالُه، وكذلك يَزجُرُ عن جميعِ الصِّفاتِ والأفعالِ المَذمومةِ، والتي بها فسادُ القلب وهلاكُهُ»[٣].

وقد جمع أحد الباحثين المعاصرين ثمرات التدبُّر في ما يأتي[٤]:

١. يُورث اليقين، ويزيد في الإيمان.

٢. العمل بما في القرآن من المأمورات، والكفِّ عن المَنهيات.

٣. الاعتبارِ والاتِّعاظ بأمثال القرآن وقصصه.

٤. الحَمْلُ علىٰ محاسبةِ النفس ومراجعتها.

---

(١) ينظر: إحياء علوم الدين للغزالي (١/ ٢٨٢)، والإتقان للسيوطي (٢/ ٦٧٨).

(٢) إحياء علوم الدين (١/ ٢٨٧).

(٣) مفتاح دار السعادة (١/ ١٨٧).

(٤) الخلاصة في تدبر القرآن الكريم لخالد بن عثمان السبت (٢٥).

٥. معرفةِ مَحابِّ الله ومساخِطِه، وبه تكون معرفةُ الطريق إلى الله.

٧. من أقوى الأسباب لتقويةِ القلب وتليينه.

(٥) الصَّوارف والحُجُبُ عن تدبُّر القرآن:

ليس كلُّ مَن قرأ القرآن الكريم غَمَرَتْه بركاتُه، واستفادَ من مَواعِظِه، فثمَّةَ آفاتٌ وموانعُ تَحولُ بين المَرء وبين التذكُّر، والإفادةِ من التدبُّر، ولا ريب في أنَّ من أعظمِ المَوانعِ والحُجُبِ التي تَمنَعُ من ذلك الشكَّ في صِحَّةِ القرآن وصدقِ نبوةِ سيدنا محمد ﷺ، لكنَّ مِن قُرَّاءِ القرآن مِنَ المسلمين مَن تحول بينه وبين تدبُّر القرآن مَوانعُ وحُجُبٌ أخرىٰ، وفي ما يأتي أهمها[١]:

١. أمراضُ القلوب، والإصرارُ على الذُّنوب.

٢. انشغالُ القلب وشرودُ الذِّهن.

٣. قَصْرُ الخُشوع علىٰ أحوالٍ أو آيات معيَّنة.

٤. قَصْرُ الهِمَّةِ على الحفظِ فقط، أو تحقيقِ القراءةِ، وحسن التلاوةِ، وقوةِ الاستحضار.

٥. تقديمُ ما دون التدبُّر من العلم والعمل، والاشتغالُ به عن التدبُّر.

(١) تدبر القرآن لسلمان بن عمر السنيدي ص (٤٩-٦٤)، وينظر: إحياء علوم الدين للغزالي (١/ ٢٨٤-٢٨٥).

المطلب الرابع: قَصَصُ القرآن الكريم

(١) المُرَاد بقصص القرآن وأنواعه

تدلُّ مادة (قَصَّ) على تتبُّع الشيء[١]، يقال: قَصَصْتُ الشَّيْءَ، إذا تتبَّعتُ أثَرَه شيئًا بعد شيءٍ، والقِصَّةُ: الخَبَرُ، والجمعُ: القِصَصُ، والقَصَصُ - بفتح القاف - الخَبَرُ المَقصوصُ، وُضِعَ موضعَ المصدر حتى صار أغلب عليه[٢].

وقَصَصُ القرآن: أخباره عن أحوالِ الأممِ الماضيةِ، والنبوات السابقة، والحوادث الواقعة[٣].

وتَشْغَلُ القصةُ في القرآن مَساحةً واسعةً من الآيات الكريمة، وهي متنوعةٌ في موضوعاتها، وفي أساليبها، فالموضوعات تتنوَّع بين قصةِ خَلقِ آدم، وقصص الأنبياء وأُمَمِهِم، وأحداثِ السيرةِ النبوية، وقصصِ أفرادٍ أو مجموعاتٍ من الناس كانت في قَصَصِهِم عبرةٌ لغيرهم، وتتنوَّع أساليبُ القِصَّةِ في القرآن بين الحوار، والحكاية، والسرد.

وقد اشتمل القرآن على كثيرٍ من وقائع الماضي، وتاريخ الأمم، وذَكَرَ البلادَ والديارَ، وتَتَبَّعَ آثارَ كلِّ قومٍ، وحكى عنهم صورةً ناطقةً لِمَا كانوا عليه.

وما قَصَّهُ الله علينا في القرآن هو أحسن القَصص، قال تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾[يوسف: ٣]، وهذا يتناول كلَّ ما قَصَّهُ الله تعالى في كتابه[٤].

وقد حَظِيَ موضوعُ القِصَّةِ في القرآن باهتمامِ الدارسين، وكُتِبَتْ عشراتُ الكتب فيها، وبيان أساليبها ومَقاصدها، والكتابة في هذا الموضوع هي نوع أو فرع من التفسير الموضوعي.

---

(١) ينظر: معجم مقاييس اللغة (٥/ ١١).
(٢) ينظر: لسان العرب لابن منظور (٧/ ٧٣-٧٥).
(٣) دراسات في علوم القرآن الكريم للرومي (٦٠٧).
(٤) ينظر: مجموع الفتاوى (١٧/ ١٨، و٣٢).

والقَصَصُ في القرآن ثلاثة أنواع[١]:

النوع الأول: قَصَصُ الأنبياء، وقد تضمَّن دعوتَهم إلى قومهم، والمعجزات التي أيَّدهم الله بها، وعاقبة المؤمنين والمُكذِّبين.

النوع الثاني: قَصَصٌ قرآني يتعلَّق بحوادث غابِرةٍ، وأشخاصٍ من أصحاب الأنبياء ومن غيرهم.

النوع الثالث: قَصَصٌ يتعلَّق بالحوادث التي وقعت في زمن رسول الله ﷺ، من الغزوات ونحوها.

(٢) خصائص القصة في القرآن:

تمتاز القِصَّةُ في القرآن بمزايا وخصائص عديدة، منها[٢]:

١. ربَّانيةُ مصدرِ القصةِ القرآنية، فالقصةُ - تَبَعًا للقرآن الكريم كلِّه - من الله تعالى، لها من الخصائص ما للقرآن الكريم نفسه، وليس للرسول ﷺ إلا البلاغ، قال الله تعالى: ﴿بِمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ﴾ [يوسف: ٣]، وقال سبحانه: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۝٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ﴾ [النجم].

٢. مُطابقةُ الواقع، وأنها حقيقةٌ لا خيال[٣]، قال الله تعالى:﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡقَصَصُ ٱلۡحَقُّ﴾ [آل عمران: ٦٢]، وقال: ﴿مَا كَانَ حَدِيثٗا يُفۡتَرَىٰ﴾ [يوسف: ١١١].

٣. اختيار ما فيه العِظة والاعتبار، فالقرآن لا يَعرِضُ أحيانًا جميعَ تفاصيلِ القصة.

٤. الإعجاز، وهذا الإعجاز تابعٌ لإعجاز القرآن الكريم كلِّه، فالقصص القرآني من الله تعالى الذي أحاط بكلِّ شيءٍ علمًا.

٥. التكرار، والتكرار في القرآن يُضفِي على القصةِ في كلِّ موضعٍ ما يناسب السياق الذي وردت فيه، وسوف نُوردُ قريبًا فوائدَ تكرار القصص في القرآن.

---

(١) ينظر: دراسات في علوم القرآن الكريم للرومي (٦٠٧-٦٠٨).

(٢) ينظر: دراسات في علوم القرآن الكريم للرومي (٦٠٧-٦٠٨).

(٣) أخطأ محمد أحمد خلف الله حين ذهب في كتابه: (الفن القصصي في القرآن) إلى أن القصة في القرآن لا تلتزم الصدق التاريخي، وأن القصص القرآني من باب الأساطير والخيال الأدبي.

(٣) فوائد القصة القرآنية:

للقصة في القرآن الكريم فوائد، من أهمها[١]:

١. إيضاحُ أُسسِ الدعوة إلى الله، وبيان أصول الشرائع التي بُعِثَ بها كلُّ نبي، قال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [الأنبياء:٢٥].

٢. تَثبيتُ قلبِ النبي ﷺ، قال الله تعالىٰ: ﴿وَكُلّٗا نَّقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَۚ وَجَآءَكَ فِي هَٰذِهِ ٱلۡحَقُّ وَمَوۡعِظَةٞ وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [هود: ١٢٠].

٣. تأكيدُ صدقِ الأنبياء السابقين، وإحياءُ ذكراهم وتَخليدُ آثارهم.

٤. إظهارُ صدقِ النبي محمد ﷺ في دعوتِه بما أخبرَ به عن أحوالِ الماضين عبر القرون والأجيال الذين طوىٰ مر الزمان أخبارهم.

٥. مُقارَعَةُ أهلِ الكتاب بالحُجةِ في ما كتموه من البينات والهُدىٰ، وتحدِّيه لهم بما كان في كتبهم قبل التحريف والتبديل، كقوله تعالىٰ: ﴿كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلّٗا لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسۡرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ مِن قَبۡلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوۡرَىٰةُۗ قُلۡ فَأۡتُواْ بِٱلتَّوۡرَىٰةِ فَٱتۡلُوهَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ [آل عمران: ٩٣].

٦. التهديدُ والوعيدُ للكفار، والعِظةُ والاعتبار للمؤمنين، بأنَّ ما جرىٰ لعُصاة الأمم السابقة قد يَجري لعصاةِ هٰذه الأمة.

٧. القصصُ ضَرْبٌ من ضُروبِ الأدب، يُصْغِي إليه السمع، وتَرْسَخُ عِبَرُهُ في النفس، وتَثْبُتُ معانيه، وتُدْرَكُ مَرَامِيه، قال الله تعالىٰ: ﴿لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [يوسف: ١١١].

(٤) تكرار القصة في القرآن وفوائده:

يُقصَد بالتكرار في القَصصِ القرآني: ورودُ الحديث عن القصةِ في أكثر من سورة في القرآن الكريم، وقد تَحَدَّثَ الدارسون عن الحِكمةِ من التكرارِ في القَصصِ القرآني، وبيان فائدة ذٰلك، فمن تلك الفوائد[٢]:

---

(١) ينظر: دراسات في علوم القرآن الكريم للرومي (٦٠٨-٦٠٩).

(٢) ينظر: دراسات في علوم القرآن الكريم للرومي (٦١٢-٦١٣).

١. بيانُ بلاغةِ القرآن في أعلىٰ مَراتبها. فمِن خصائصِ البلاغة إبرازُ المعنى الواحد في صُوَر مُختلفةٍ، والقِصةُ المُتكرِّرة تَرِدُ في كلِّ موضعٍ بأسلوبٍ يختلف عن الآخر، وتُصاغُ في قالَبٍ غيرِ القالَب، ولا يَمَلُّ الإنسانُ مِن تكرارها، بل تتجدَّد في نفسِه معانٍ لا تَحصُلُ له بقراءتها في المواضع الأخرىٰ.

٢. إظهارُ قوةِ الإعجاز. فإيرادُ المعنى الواحد في صُورٍ مُتعدِّدةٍ - مع عَجْزِ العرب عن الإتيان بصُورةٍ منها - أبلغُ في التحدِّي.

٣. أنَّ المعاني التي اشتملت عليها القصةُ الواحدة من هذه القصص صارت مُتفرِّقةً في مواضع التَّكرير، فيَجدُ البَليغُ - لِمَا فيها من التغيير - مَيلاً إلىٰ سماعها، لِمَا جُبِلَتْ عليه النفوس من حُبِّ التنقُّل في الأشياء المُتجدِّدةِ، التي لكلٍّ منها حصةٌ من الالتذاذِ به مُستأنَفَة.

٤. أنه إذا كَرَّرَ القصةَ زاد فيها شيئًا لم يذكره في المرةِ الأولىٰ، فقد يوجد في ألفاظها زيادةٌ أو نقصان، وتقديمٌ أو تأخير، ويُذْكَرُ في كلٍّ منها ما لم يُذْكَرْ في الأخرىٰ، لتنويع الفوائد وتوزيعها.

٥. الاهتمام بشأن القصةِ لتمكين عِبَرِهَا في النفس، فإنَّ التكرارَ من طرقِ التأكيد وأمارات الاهتمام، كما هو الحال في قصة موسىٰ مع فرعون، لأنها تُمثِّلُ الصِّراعَ بين الحقِّ والباطل أتمَّ تمثيلٍ، مع أنَّ القصةَ لا تُكرَّر في السورةِ الواحدة مهما كَثُر تكرارُها.

٦. اختلاف الغاية التي تُسَاقُ من أجلها القصةُ، فَتُذْكَرُ بعضُ معانيها الوافية بالغَرَض في مَقام، وتَبْرُزُ معانٍ أخرىٰ في سائر المَقامات، حسب اختلاف مُقتَضيات الأحوال.

(٥) أثر القصص القرآني في التربية:

لم يكن إيرادُ القَصَص في القرآن الكريم للتَّسليةِ المحضة أو قضاءِ الأوقات من غير فائدة، فقد صَرَّحَتِ الآيات الكريمةُ أنَّ في قَصَصِ الأنبياء عِبرةً: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [يوسف: ١١١].

والعِبرةُ والاعتبارُ: هي الحالُ التي يُعْرَفُ فيها ما يجبُ عملُه في الحاضر بالأخذ مما كان في الماضي، بأنْ يُتفكَّر ويُتدبَّر ما كان في الماضي من وقائع، ويُعلَمَ أنه نورٌ يُضيءُ

للحاضر، وبيانُ العواقب في كلِّ جيلٍ لمن يقعُ فيها مِن أهلِ هٰذا الجيل الذي خَلَفَ الأول.

ولذا كان في قَصَصِ الرسل إنذارٌ للمشركين، وتسليةٌ للنبيِّ والمؤمنين بأنَّ نَصْرَ اللهِ آتٍ، وكلُّ آتٍ قريبٌ مهما تأخَّر الزمان[١].

وتتنوَّع عواملُ التأثير في القصة القرآنية بين التأثير النفسي، والإقناع العقلي، والإبداع الفني، فهو يُخاطبُ العاطفةَ عن طريق الشعور، ويُقنِعُ العقلَ عن طريق الحِسِّ، ويَجلِبُ الأسماع والقلوب بالتعبير الفنِّي البديع[٢].

(٦) أهمُّ المؤلَّفات في القصص القرآني:

حَظِيَتْ القِصةُ في القرآن الكريم باهتمام الدارسين من المفسِّرين والمُؤرِّخين، وأفردها كثيرٌ منهم بكتبٍ مستقلة، وظهر في العصر الحديث كثيرٌ من المؤلفات في هٰذا الموضوع، ويمكن تصنيفها في ثلاث مجموعات[٣]:

أولاً: كتبٌ مُؤَلَّفَةٌ في قَصَصِ الأنبياء الوارد ذكرُهم في القرآن الكريم.

ثانيًا: رسائل جامعية كُتِبَتْ في جانبٍ معيَّن يتعلَّق بالقَصص القرآني.

ثالثًا: كتب مُؤلَّفة في قِصَّةِ نبيٍّ واحدٍ من الأنبياء المذكورين في القرآن.

ويطول الحديث في ذكر أسماء الكتبِ المؤلَّفة في موضوعِ القصة في القرآن الكريم، لذا سوف نكتفي بذكر بعضها:

١. قصص الأنبياء، لابن كثير الدمشقي.

٢. سيكولوجية القصة في القرآن، تأليف التهامي نفرة.

٣. قصص القرآن الكريم، تأليف د. فضل حسن عباس.

٤. قصص القرآن الكريم وسيرة سيد المرسلين، تأليف د. محمد منير الجنباز.

---

(١) ينظر: زهرة التفاسير لمحمد أبو زهرة (٧/ ٣٨٨١).

(٢) ينظر: سيكولوجية القصة في القرآن للتهامي نفرة (٤٢٤).

(٣) ينظر للوقوف عليها: موسوعة بيبلوغرافيا علوم القرآن (١/ ٧٩٣-٧٩٩).

المطلب الخامس: إعجاز القرآن الكريم

لَـمَّا اشتدَّ عِنادُ المشركين في مكة، ووصفوا القرآن بأنه سِحرٌ أو شعرٌ أو أساطير، تحدَّاهم القرآن أنْ يأتوا بسورةٍ من مثله [البقرة: ٢٣، ويونس: ٣٨]، أو عشر سور [هود: ١٣]، أو بحديثٍ مثله [الطور:٣٤]، ثم تحدَّى القرآنُ الإنسَ والجنَّ جميعـًا بقوله تعالىٰ: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨]، فَعَجَزَ المشركون عن ذٰلك، واستعاضوا عنه بالقتال.

وقد دَرَسَ العلماء بعد نشأةِ العلوم الإسلامية من أيِّ جهةٍ وقع التحدِّي للمشركين، وقد تكامَلَتْ تلك المباحث وأخذت اسم الإعجاز، وأُلِّفَتِ الكتب في ذٰلك في القديم والحديث، وهٰذا المبحث خاص ببحث موضوع الإعجاز.

(١) تعريف الإعجاز والمُعْجِزَة، والفرق بينهما:

أ. **الإعجاز في اللغة**: مصدر الفعل (أعَجْزَ)، والفعل الثلاثي: (عَجَزَ) و(عَجِزَ)، فهو عاجز، أي: ضعيف، ويقال: عَجَزَ عن الأمر، إذا قَصَرَ عنه، والعَجْزُ الضَّعْف[١].

والإعجاز في الاصطلاح: زوال القدرة عن الإتيان بالشيء، من عمل أو رأي أو تدبير[٢].

ب. **والمُعْجِزَةُ**: أمرٌ خارقٌ للعادة، مَقرونٌ بالتحدي، سالمٌ عن المُعارضةِ، يُجْرِيهِ الله تعالىٰ علىٰ يدِ نبيٍّ من أنبيائه[٣].

وسُمِّيَتْ معجزةً، لأنَّ البشرَ يَعجِزُون عن الإتيان بمثلها[٤].

واشتهر مصطلح «الإعجاز» أو «إعجاز القرآن» للدلالة علىٰ عَجْزِ الناس عن

---

(١) معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٤/ ٢٣١)، ولسان العرب (٥/ ٣٦٩).

(٢) بصائر ذوي التمييز للفيروزآبادي (١/ ٦٥).

(٣) ينظر: الإتقان للسيوطي (٥/ ١٨٧٣)، والزيادة والإحسان لابن عقيلة (٦/ ٣٨٠).

(٤) ينظر: مناهل العرفان للزرقاني (١/ ٧٣)، وسَمَّى العلماء الأمر الخارق الذي يحصل للأنبياء معجزة، وللصالحين كرامة، وسموا ما يجري علىٰ يد الفسقة والكفار استدراجـًا وإهانة. ينظر: تفسير الخازن (٤/ ٣٥٣)، وتشنيف المسامع للزركشي (٤/ ٨٧٦).

مُعارَضَةِ القرآن أو الإتيان بمثله، وصار عنوانًا لعلمٍ من علوم القرآن، وبعد أنْ صارت المعارف علومًا، ظهرت مؤلفات تَحمِل في عنواناتها عبارة «إعجاز القرآن».

وقد اتَّضح لك مما تقدم أنَّ «المعجزة» هي الأمرُ الخارق للعادة الذي يُؤيِّدُ الله تعالىٰ به نبيًّا من أنبيائه، وأنَّ «الإعجاز» هو العجزُ عن الإتيان بمثل ذٰلك الأمر، وصارت عبارةُ «إعجاز القرآن» تُطلق على المباحث المتعلِّقة بالمعجزة والإعجاز كليهما.

(٢) موازنة بين معجزة القرآن ومعجزات الأنبياء السابقين:

أخرج البخاري ومسلم[١]، عن أبي هريرة، أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**ما مِن الأنبياءِ نبيٌّ إلا أُعْطِيَ من الآيات ما مِثْلُهُ آمَنَ عليه البشر، وإنما كان الذي أُوتِيتُهُ وَحْيًا أوحاه الله إليَّ، فأرجو أنْ أكونَ أكثَرَهُم تابعًا يوم القيامة**».

قال ابن حجر العسقلاني: « أي إنَّ معجزتي التي تَحَدَّيْتُ بها: الوَحْيُ الذي أُنْزِلَ عليَّ، وهو القرآن، لِمَا اشتمل عليه من الإعجاز الواضح»[٢].

وقد كانت معجزةُ كلِّ نبيٍّ تَقعُ مناسِبةً لحالِ قومه، ولَمَّا كان العرب الذين بُعِثَ فيهم النبي ﷺ في الغاية من البلاغة، جاءهم بالقرآن الذي تحدَّاهم بأنْ يأتوا بسورةٍ من مثله، فلم يَقْدِرُوا علىٰ ذٰلك[٣]. قال الآلوسي: « وإنما كانت معجزةُ كلِّ نبيٍّ من جنسِ ما غَلَبَ علىٰ زمانه، ليكون ذٰلك أَدْعَىٰ إلىٰ إجابة دعواه»[٤].

وقد تميَّزت معجزةُ النبيِّ ﷺ الكبرىٰ - وهي القرآن الكريم - علىٰ معجزات الأنبياء السابقين بعددٍ من الأمور، منها[٥]:

١. أنَّ معجزات الأنبياء ٱنْقَرَضَتْ بانقراض أعصارهم، فلم يُشاهِدْها إلا مَن حضَرَها، ومعجزةُ القرآنِ مستمرةٌ إلىٰ يوم القيامة.

---

(١) صحيح البخاري (٦/ ١٨٢، رقم: ٤٩٨١)، و(٩/ ٩٢، رقم: ٧٢٧٤)، وصحيح مسلم (١/ ١٣٤، رقم: ١٥٢).
(٢) فتح الباري (٩/ ٦).
(٣) فتح الباري (٩/ ٦-٧).
(٤) روح المعاني (٥/ ٣٩).
(٥) ينظر: فتح الباري (٩/ ٧).

٢. أنَّ المعجزات الماضية كانت حِسِّيَّةً تُشاهَدُ بالأبصار، كناقة صالحٍ وعصا موسىٰ عليهما السلام، ومعجزةُ القرآن تُشاهَدُ بالبَصِيرة، فيكون مَن يَتَّبِعُهُ لأجلها أكثرَ، لأنَّ الذي يُشَاهَدُ بعينِ الرأس يَنقَرِضُ بانقراض مُشَاهِدِه، والذي يُشَاهَدُ بعينِ العقل باقٍ، يُشَاهِدُهُ كُلُّ مَن جاء بعدَ الأول.

٣. أنَّ الله تعالىٰ تكفَّل بحفظِ القرآن، فبَقِي نصُّه مَحفوظًا من التغيير أو الزيادة والنقصان، وتعرَّضَت كتبُ الأنبياء السابقين للتحريف.

(٣) الأدلة علىٰ ثبوت إعجاز القرآن:

لعل مِن أوضحِ الأدلة علىٰ ثبوت إعجاز القرآن الكريم: أنَّ المشركين في زمنه ﷺ انقطعوا عن مُعارَضَتِه والإتيانِ بمثله، مع أنه تحدَّاهم بصريح الآيات، ولو كان ذٰلك بإمكانهم لَـما تخلَّفوا عنه، ولَخَلَّصُوا أنفسَهم من القتل في الحروب التي أقدموا عليها في مُواجهةِ القرآن والدِّين الجديد، فَعُدُولُهم عن المعارضة، ورضاهم بالقتل والجَلاء، ونُكُولهم عن ذٰلك أَبْيَنُ في الدَّلالة من غيره علىٰ ذٰلك[١].

فقد سلكوا مع الرسول ﷺ كلَّ سبيلٍ للتوقُّف عن دعوته، ساوَموه بالمال، وعرضوا عليه الملك، وقاطعوه ومن معه حتىٰ يموتوا جوعًا، وتآمروا علىٰ قتله، وأخرجوه من بلدِه، وسَلَكوا أصعبَ الطُّرقِ، وأعرضوا كلَّ الإعراض عن الطريق الوحيد الذي عَرَضَه عليهم الرسولُ ﷺ لإبطال دعوته، وهو أن يأتوا بمثل هٰذا القرآن، فوجدوا أنَّ كلَّ سبيلٍ أهونُ من هٰذا السَّبيل، وكلَّ مَشقَّةٍ دون هٰذا المطلَب، فأيُّ شيءٍ يكون العَجْزُ إنْ لم يكن هٰذا هو العَجزَ كُلَّ العَجزِ؟ ولو أُثِرَ عنهم مُعارَضةٌ للقرآن الكريم أو مُحاولةٌ جادَّةٌ، لتطاير خبرُها في الأجيال، ولتَدَاوَلَتْهَا الأَلْسُنُ وسَطَّرَتْها الأقلام، ولٰكنَّ ذٰلك لم ولن يكونَ ما دام هناك مِسْكَةٌ من عقل، أو ذرَّةٌ من كرامة[٢].

---

(١) ينظر: إكمال المعلم للقاضي عياض (١/ ٤٦٨).

(٢) ينظر: دراسات في علوم القرآن الكريم للرومي (٢٦٥-٢٦٦).

(٤) أوجه إعجاز القرآن:

اعتنى العلماء ببيان أوجُهِ إعجاز القرآن، ومن أقدم المؤلفات في إعجاز القرآن الكريم كتابُ «بيان إعجاز القرآن» للخطَّابي (ت ٣٨٨هـ)، وقد استهلَّ الكتابَ بقوله: « قد أكثر الناسُ الكلامَ في هٰذا الباب قديمًا وحديثًا، وذهبوا فيه كلَّ مَذْهَبٍ من القول»[١]، ثم ذَكَرَ أشهرَ وجوهِ الإعجاز المعروفة في زمانه، فقال:

١- «ذهب قومٌ إلىٰ أنَّ العلةَ في إعجازه الصَّرْفَةُ[٢]، أي أنَّ الله صَرَفَ الهِمَمَ عن المعارَضَة»، ثم ناقَشَ هٰذا المذهب، وذكر أنَّ المراد في غيره.

٢- «وذهبت طائفةٌ أنَّ إعجازَه إنما هو في ما يتَضمَّنُه من الإخبار عن الكوائن في مستقبل الزمان»، لٰكن ذٰلك لا يوجد إلا في آيات قليلة، وإعجازُ القرآن شاملٌ لجميعِ سُوَرِه.

٣- «وذهب آخرون أنَّ إعجازَه من جهةِ البلاغة، وهم الأكثرون من علماءِ أهلِ النَّظرِ»، لٰكنَّ القائلين به عَجَزُوا عن تحديدِ وجوه البلاغةِ التي اختصَّ بها القرآن.

وجَمَعَ الخطَّابي وجوهَ إعجازِ القرآن في كونه جاء بأفْصَح الألفاظ، في أحسنِ نُظومِ التأليف، مُضَمَّنًا أصحَّ المعاني[٣].

---

(١) بيان إعجاز القرآن (٢١).

(٢) الصَّرْفَةُ لغةً: من صَرَفَ الشيءَ يَصْرِفُه صَرْفًا؛ إذا رَدَّهُ عن وجهه، (ينظر: لسان العرب لابن منظور ٩/ ١٨٩). وجَاءت بصيغة المرَّة، وهِي بمعنى المصدر. وقد أُطلقت هٰذه الكلمةُ للدلالة علىٰ مذهب بعض العلماء المتقدمين في أنَّ إعجازَ القرآن كائنٌ في أنَّ الله تعَالىٰ صَرَفَ العربَ عن الإتيان بمثله، وهو ما ذهب إليه أبو إسحاق إبراهيم بن سَيَّار النَّظَّام البصري (ت ٢٣١هـ)، وهو أحدُ رؤوس المعتزلة، وتابعه علىٰ ذٰلك بعض أتباعه (ينظر: النكت في إعجاز القرآن للرماني ١١٠). وقد ردَّ جمهورُ العلماء هٰذا المذهبَ، لأنه يَسلُبُ الإعجازَ من القرآن، قال القاضي أبو بكر الباقلاني: «ومما يُبْطِلُ ما ذكروه من القول بالصَّرْفَة: أنه لو كانت المعارَضةُ مُمكنةً - وإنما منعَ منها الصَّرفَةُ - لم يكن الكلامُ مُعجزاً، وإنما يكون المنعُ مُعجزاً، فلا يتضمَّنُ الكلامُ فَضْلاً علىٰ غيره في نفسه». (إعجاز القرآن للباقلاني (٣٠)، وينظر: البرهان للزركشي (٢/ ٩٣-٩٤)، والإتقان للسيوطي (٥/ ١٨٧٩-١٨٨٠)، والزيادة والإحسان لابن عقيلة المكي (٦/ ٣٩٥-٣٩٦).

(٣) بيان إعجاز القرآن (٢٢-٢٧) بتصرُّف.

وتتابع المؤلفون في إعجاز القرآن على ذكر وجوه الإعجاز، مُتابِعين - في الغالب - ما قاله الخطَّابي، كما فعل أبو بكر الباقِلَّاني (ت ٤٠٣هـ) في كتابه «إعجاز القرآن»[١]، والقاضي عياض (ت٥٤٤هـ) في كتابه «الشِّفا بتعريف حقوق المصطفى»[٢]، وغيرهما[٣].

(٥) اتجاهات الدارسين المُحْدَثِينَ في بيان وجوه إعجاز القرآن:

لم يكن الدَّارسون المحدَثون أقلَّ عِنايةً ببحث وجوهِ إعجاز القرآن، وقد اتَّسع عندهم القولُ في تلك الوجوه، وبالغ بعضهم في ذلك، ويمكن للدَّارس أنْ يَلحَظَ أكثرَ من منهجٍ أو اتِّجاهٍ في ذكر تلك الوجوه، ومن ذلك[٤]:

الاتجاه الأول: يجمع وجوهَ الإعجاز التي ذكرها المتقدمون، ويُضيفُ إليها ما استجدَّ من دراسات، كما فعل الشيخ عبد العظيم الزُّرقاني في كتابه «مناهل العرفان»، فقد أوصلها إلى أربعة عشر وجهًا[٥].

الاتجاه الثاني: يحصر وجوهَ الإعجاز في ثلاث نواحٍ، هي: الإعجاز البياني، والإعجاز العلمي، والإعجاز التشريعي[٦].

الاتجاه الثالث: يحصر الإعجازَ في جانبٍ واحد، هو الإعجاز البياني[٧].

ولا يتَّسع المقامُ لعرض تفاصيلِ هذه الاتجاهات حول إعجاز القرآن الكريم، ويمكن مراجعتُها في كتبِ إعجاز القرآن الكريم، لمن رَغِب في ذلك.

---

(١) ينظر: إعجاز القرآن (٣٣-٣٥).

(٢) ينظر: الشفا (١/ ٤٩١، و ٥٥١١، و ٥٢٢).

(٣) ينظر: الإتقان للسيوطي (٥/ ١٨٧٩-١٨٩٥)، والزيادة والإحسان لابن عقيلة المكي (٦/ ٣٨٦-٥٠٤).

(٤) ظهر في العقود الأخيرة اتجاه جديد قال به بعض الدارسين، وهو ما يُسمى بالإعجاز العددي، ومنه ما يُركِّز على العدد سبعة، ومنه ما يركز على الرقم (١٩)، ومنه ما يعنى بالموافقات العددية لألفاظ معينة في القرآن، لكن هذا الاتجاه لم يحظَ بالقَبول لدى الدارسين. (ينظر: مقولة الإعجاز العددي - دراسة نقدية للدكتور أحمد خالد شكري).

(٥) ينظر: مناهل العرفان (٢/ ٢٢٨-٣-٨).

(٦) ينظر: النبأ العظيم لمحمد عبد الله دراز (٧٩).

(٧) ينظر: فصل في إعجاز القرآن لمحمود محمد شاكر (وهو تقديم لكتاب الظاهرة القرآنية لمالك بن نبي) (٢٤-٢٥).

(٦) أهمُّ المصنفات في إعجاز القرآن:

حَظِيَ موضوعُ إعجازِ القرآن باهتمامٍ كبيرٍ، وأُلِّفَتْ حولَه مؤلفاتٌ كثيرةٌ، ومِن أقدمِ ما وصلَ إلينا منها:

١. النكت في إعجاز القرآن، لأبي الحسن علي بن عيسى الرُّمَّاني (ت ٣٨٤هـ).

٢. بيان إعجاز القرآن، لأبي سليمان حَمْد بن محمد الخطابي (ت ٣٨٦هـ).

٣. إعجاز القرآن، لأبي بكر محمد بن الطيِّب الباقلَّاني (ت ٤٠٣هـ).

وجميعها مطبوعة.

وقد حَظِي الموضوعُ باهتمام الدارسين المحدثين أيضـًا، وأُلِّفَتْ كتب كثيرة فيه، يطول ذكرها، منها:

١. مباحث في إعجاز القرآن، لـ د. مصطفىٰ مُسلِم.

٢. إعجاز القرآن الكريم، لـ د. فضل حسن عباس.

وجميعها مطبوعة أيضًا.

المطلب السادس: ترجمة القرآن الكريم

الإسلام رسالةٌ ربانية إلى الناس كافَّةً، والقرآن كلامُ الله تعالى الذي خاطبَ به البشريةَ كلَّها، وقد أنزله الله عز وجل باللغة العربية، ومن ثَمَّ فإنَّ غيرَ العرب عليهم أنْ يتعرَّفوا عليه بأحد طريقين:

- تعلُّم العربية، وقد لا يتأتَّى ذلك للكثير منهم.
- أو نقلُ معاني القرآن إلى لغاتهم ليقرؤوه بها.

لكن هل سيحافظُ هذا النقلُ على رُوح القرآن ومعناه؟ هذا ما سنحاول مناقشتَه في هذا المطلب، والإجابة عليه.

(١) مفهوم الترجمة ومشكلاتها:

التَّرْجَمَةُ: نَقْلُ الكلامِ من لغةٍ إلى أخرى، يُقال: تَرْجَمَ كلامَه، إذا فسَّرَهُ بلسانٍ آخر، ومنه: التُّرْجُمانُ، بفتح التاء وضمها، وهو الذي ينقل الكلام من لغةٍ إلى أخرى[١].

ومعنى «نقلِ الكلامِ من لغةٍ إلى أخرى»: التعبيرُ عن معناه بكلامٍ آخر من لغةٍ أخرى، مع الوَفَاء بجميعِ مَعَانيه ومقاصِدِه، كأنك نَقَلتَ الكلامَ نفسَه من لغتِه الأولى إلى اللغة الثانية[٢].

والترجمة في الأعمال الثقافية العادية عملٌ لا يخلو مِن المشكلات، مثل اختلاف نظام الجمل وتركيب الكلام بين اللغات، وصعوبة الحفاظ على جمال الألفاظ والتعبير، ثم صعوبة الإحاطة بالمعنى، خاصة في الأعمال الأدبية، وتبرز تلك الصعوبة بصورة أجلى في ترجمة معاني القرآن الكريم [٣].

---

(١) ينظر: النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (١/ ١٨٦)، ولسان العرب لابن منظور (١٢/ ٦٦).
(٢) ينظر: مناهل العرفان للزرقاني (٢/ ١١٠).
(٣) ينظر: المصدر نفسه (١٧١-١٧٥).

(٢) أنواع الترجمة:

تنقسمُ الترجمة على قسمين[١]:

الأول: **الترجمة الحرفية**: وهي نقلُ الكلامِ من لغةٍ إلى لغة أخرى، مع مراعاة الموافقة في النظم والترتيب، والمحافظة على جميع معاني الأصل المُتَرْجَم.

الثاني: **الترجمة التفسيرية (المعنوية)**: وهي شرحُ الكلام وبيان معناه بلغةٍ أخرى، دون مراعاة لنَظم الأصل وترتيبِه، ودون المحافظةِ على جميع معانيه المرادةِ منه، وذلك بأنْ نفهمَ المعنى الذي يُراد من الأصل، ثم نأتيَ به بتركيبٍ من اللغة المُتَرْجَم إليها يُؤدِّيه على وَفْقِ الغرض الذي سِيقَ له.

وحيث اتَّفقت كلمةُ المسلمين، وانعقد إجماعهم على جواز تفسير القرآن لمن كان من أهلِ التفسير بما يدخل تحت طاقَتِه البشرية، دون إحاطةٍ بجميع مرادِ الله، فإنَّنا لا نشكُّ في أنَّ الترجمةَ التفسيريةَ للقرآن داخلةٌ تحت هٰذا الإجماع أيضًا.

(٣) ترجمة معاني القرآن وصعوباتها:

ترجمة معاني القرآن الكريم وسيلة من وسائل الدعوة للدين، لكن ثمة صعوبات تقف في طريقها، فمن المستحيل أنْ يَقدِرَ بشرٌ مهما أوتي من العلم وتمكَّن من اللغةِ أنْ يُعيدَ صياغةَ آياتِ القرآن بلغةٍ أخرى غيرِ العربية، ويُحافِظَ في الوقت ذاته على معانيه من جانبٍ وأسلوبه المعجز من جانبٍ آخر.

ومع صعوبة ترجمةِ معاني القرآن، إنْ لم نقل استحالَتها، فإنَّ علماء المسلمين يُقرِّرون ضرورةَ تبليغِ القرآن ورسالته إلى أممِ الأرض مهما كانت لغاتهم، وتحقيقُ ذلك قد لا يَتِمُّ إلا بضربٍ من الترجمة، قال ابن تيمية، رحمه الله: « ومعلومٌ أنَّ الأمةَ مأمورةٌ بتبليغ القرآن لفظِه ومعناه، كما أمر بذلك الرسول ﷺ، ولا يكون تبليغُ رسالةِ الله إلا كذلك،

---

(١) ينظر: مناهل العرفان للزرقاني (٢/ ١١١)، والتفسير والمفسرون لمحمد حسين الذهبي (١/ ١٩-٢٢)، ودراسات في علوم القرآن الكريم للرومي (٦٢٠-٦٢١).

وإنَّ تبليغَه إلى العجم قد يحتاج إلىٰ ترجمتِه لهم، فيُترجَمُ لهم بحسبِ الإمكان، والترجمةُ قد تحتاجُ إلىٰ ضربِ أمثالٍ لتصوير المعاني، فيكون ذلك من تمام الترجمة، وإذا كان من المعلوم أنَّ أكثرَ المسلمين، بل أكثر المنتسبين منهم إلى العلم لا يقومون بترجمة القرآن وتفسيره وبيانه، فَلَأَنْ يعجز غيرُهم عن ترجمةِ ما عنده وبيانه أولىٰ بذلك»[١].

وترجمة القرآن لا تُسمىٰ قرآنًا، بل هي ترجمةٌ لمعاني القرآن، قال النووي: «ترجمة القرآن ليست قرآنًا بإجماع المسلمين، ومحاولةُ الدليل لهذا تكلُّف، فليس أحدٌ يُخالِفُ في أنَّ مَن تكلَّم بمعنى القرآن بالهندية ليست قرآنًا، وليس ما لَفَظَ به قرآنًا، ومن خالَفَ في هذا كان مُرَاغِمًا جاحِداً، وتفسيرُ شعرِ امرئِ القيسِ ليس شعرَه، فكيف يكون تفسيرُ القرآن قرآنًا؟»[٢].

(٤) شروط الترجمة:

إنَّ الترجمةَ الناجحةَ لأيِّ نصٍّ لا بد لها من وجودِ المُتَرْجِمِ الماهرِ باللغتين، والأمينِ في نقل المعنى المفهومِ من النصِّ الأصلي، وثمةَ شروطٌ لترجمة معاني القرآن الكريم، منها[٣]:

١. أنْ تكون الترجمةُ علىٰ شَريطةِ التفسير، من التقيُّد بدلالةِ الألفاظ في اللغة العربية، ومراعاة ما جاء في التفسير المأثور.

٢. أنْ يكون المُتَرْجِمُ بعيداً عن المَيلِ إلىٰ عقيدةٍ زائفةٍ تُخالفُ ما جاء به القرآن أو السنة النبوية.

٣. أن يكون المُتَرجِمُ عالِمًا باللغتين - المُتَرْجَمِ منها والمُتَرْجَمِ إليها -، خبيراً بأسرارهما، يعلَمُ جهةَ الوضع والأسلوب والدلالة لكلٍّ منهما.

---

(١) مجموع الفتاوىٰ (٤/ ١١٦-١١٧).

(٢) المجموع شرح المهذب (٣/ ٣٨٠).

(٣) ينظر: التفسير والمفسرون للذهبي (١/ ٢٤)، ونقل معاني القرآن إلىٰ لغة أخرىٰ للرومي (٢٩-٣١)، ودراسات في علوم القرآن الكريم (له) (٦٢٣-٦٢٤).

٤. أنْ يُبيِّنَ المُتَرجِمُ أنَّ هذه الترجمةَ ليست قرآنًا، وإنما هي ترجمةٌ لمعاني القرآن، أو ترجمةٌ لتفسير القرآن.

٥. عدمُ كتابةِ القرآن بحروفٍ غير عربية، فقد أفتى العلماء المسلمين بحرمة ذلك.

٦. الاقتصارُ على ترجمة معاني القرآن الكريم مباشرة، وعدم التكلُّف في استنباط المعاني، أو ذكر النظريات العلمية، وإذا اقتضى الحالُ التوسُّعَ في مسألةٍ علميةٍ، فيجب أنْ يكون ذلك في الحاشية.

(٥) أفضل ترجمات معاني القرآن:

إنَّ الحديثَ عن أفضلِ ترجماتِ القرآن الكريم المطبوعة قد يَختَلِفُ باختلافِ الأشخاص، وباختلاف المُتَرجِمين، وباختلاف الجهاتِ التي تَقِفُ وراءَ تلك التَّرجمات، وباختلاف المُستَفِيدِين منها، فالقائمون على ترجمات القرآن ينقسمون قسمين من جهة الهدف:

القسم الأول: مُتَرجِمون مُعادُون لرسالةِ الإسلام والقرآن، سواء كانوا من المسلمين أو من غيرهم، ولهم أغراضٌ مَشبوهةٌ من الترجمة.

القسم الثاني: مُترجِمون مُؤمنون برسالة الإسلام والقرآن، ويَهدُفون إلى إيصال تلك الرسالة إلى الناس، باعتبارها دعوة عالمية ورسالة إنسانية.

ولا شكَّ أنَّ ترجمات الفريقين تتفاوتُ في الجَودةِ والإتقان، لكن الترجمات التي قام بها الصِّنفُ الثاني أفضلُ من ترجمات الصِّنفِ الأول، لتمكُّنهم من اللغة العربية، وبُعدهم عن الأغراض الشخصيةِ التي قد تُؤدي إلى التحريف.

وترجمات القرآن الكريم من الصِّنف الثاني تتفاوتُ في درجة الإتقان، والابتعاد عن نقاط الضعف، باختلاف الجهات التي تُصدِرُها، فالترجمات التي يتصدَّى الأفرادُ لإنجازها أكثرُ عُرضةً للمآخذ من الترجمات التي تُصدِرُها المؤسسات، وتَخضَعُ للمراجعة والتَّدقيق.

ولعل مُجَمَّعَ الملك فهد لطباعة المصحف الشريف في المدينة النبوية هو أكبر المؤسسات التي تَصدَّت لإصدار ترجماتٍ مُوثوقةٍ للقرآن الكريم، فثمَّة مركزٌ مُتخصِّص لترجمةِ معاني القرآن الكريم، أُنْشِئَ سنة ١٤١٥هـ، ويعمل فيه مُتخصِّصون، ويتعاون المركزُ مع عشرات الباحثين الذين يعملون في ترجمة معاني القرآن إلىٰ عشراتٍ من اللغات الإنسانية، للشعوب الإسلامية ولغيرها.

وقد بلغ عدد اللغات التي قام المركز بإصدار ترجمات لمعاني القرآن إليها ٧٤ لغةً، منها ٣٩ لغةً آسيوية، و١٦ لغةً أوربية، و١٩ لغةً أفريقية، ويسعى المجمَّع إلىٰ ترجمةِ معاني القرآن إلىٰ لغاتٍ أخرىٰ[١].

(١) هذه الإحصائيات مقتبسة من موقع المجمع:
https://qurancomplex.gov.sa/kfgqpc-quran-translate

خاتمة الكتاب

نأمل، أيها القارئ لكتابنا هٰذا، أن تكون قد وجدت فيه ما كنا نرجوه، من تقديم خلاصة مفيدة، وتعريف مختصر بعلوم القرآن الكريم، يُقَرِّبُ القرآن إلى النفوس ويُرَغِّبُهَا فيه، وذٰلك من خلال الفصول الستة التي يتألف منها الكتاب، وهي:

الفصل الأول: مدخل إلىٰ علوم القرآن الكريم.

الفصل الثاني: فضائل القرآن الكريم.

الفصل الثالث: تنزيل القرآن الكريم.

الفصل الرابع: تدوين القرآن الكريم.

الفصل الخامس: الأحرف السبعة والقراءات القرآنية.

الفصل السادس: تفسير القرآن الكريم.

ومع حرصنا على الاختصار في الكتاب، مراعاةً لظروف كثير من القراء، فقد حرصنا على الإحالة على المصادر التي ٱسْتَقَيْنَا منها مادة الكتاب في الهوامش، وأَثْبَتْنَا قائمةً بها في آخر الكتاب، لتسهيل التعرف عليها والرجوع إليها، إذا رغب القارئ في التوسع في دراسة بعض موضوعات الكتاب، أو التوثق منها.

والحمد لله رب العالمين، وصَلَّى الله علىٰ سيدنا محمد خاتم النبيين،

وعلىٰ آلهِ وأصحابهِ أجمعين، والتابعين لهم بإحسانٍ

إلىٰ يوم الدين.

فهرس المصادر والمراجع

لتحميل الفهرس

موضوعات الكتاب

الموضوع	الصحيفة
مقدمة	٥
الفصل الأول: مدخل إلى علوم القرآن	٧
المبحث الأول: تعريف القرآن وأسماؤه وصفاته	٨
١- تعريف القرآن	٨
٢- أسماء القرآن وصفاته	٨
٣- الفرق بين القرآن والحديث القدسي	٩
المبحث الثاني: تعريف بعلوم القرآن وأشهر المؤلفات فيه	١١
المطلب الأول: تعريف علوم القرآن وموضوعه	١١
المطلب الثاني: مراحل تدوين علوم القرآن	١٢
المطلب الثالث: أهم المصنفات في علوم القرآن	١٤
الفصل الثاني: فضائل القرآن، وآداب تلاوته	١٧
المبحث الأول: فضائل القرآن الكريم	١٨
المطلب الأول: فضل القرآن وتلاوته، وتعلمه وتعليمه، وتعاهده	١٨
١- فضل القرآن	١٨
٢- فضل تلاوة القرآن	٢٠
٣- فضل تعلم القرآن وتعليمه	٢٠
٤- فضل أهل القرآن	٢١
٥- الأمر بتعاهد القرآن	٢١

المطلب الثاني: تفاضل القرآن، وفضائل بعض السور والآيات	٢٢
١- فضائل بعض السور	٢٢
٢- فضائل بعض آي السور	٢٤
٣- أثر الوضع في الحديث في فضائل السور	٢٤
٤- أهم المصنفات في فضائل القرآن	٢٥
المبحث الثاني: آداب تلاوة القرآن الكريم	٢٧
١- نظافة البدن والمكان	٢٧
٢- الاستعاذة والبسملة	٢٨
٣- ترتيل التلاوة وتحسين الصوت	٢٨
٤- الخشوع والتدبر	٢٨
٥- أوقات القراءة المحمودة والسرعة فيها	٢٩
الفصل الثالث: نزول القرآن الكريم	٣١
المبحث الأول: الوحي، وتنزيل القرآن	٣٢
المطلب الأول: تعريف الوحي، وأنواعه، وكيفياته	٣٢
١- تعريف الوحي	٣٢
٢- كيفية وحي الله إلى أنبيائه	٣٣
المطلب الثاني: كيفية تلقي النبي ﷺ للقرآن	٣٤
المبحث الثاني: نزول القرآن الكريم	٣٧
المطلب الأول: بدء نزول القرآن ومدته	٣٧
١- بدء نزول القرآن	٣٧
٢- مدة نزول القرآن	٣٨
المطلب الثاني: نزول القرآن منجماً، والحكمة من التنجيم	٣٨

١- تنزلات القرآن	٣٨
٢- نزول القرآن جملة، والحكمة منه	٣٩
٣- نزول القرآن منجمًا، والحكمة منه	٤٠
المطلب الثالث: أول ما نزل من القرآن وآخر ما نزل	٤١
١- أول ما نزل من القرآن	٤١
٢- آخر ما نزل من القرآن	٤٢
٣- أول ما نزل من القرآن وآخر ما نزل منه بحسب الموضوعات	٤٣
المبحث الثالث: أسباب نزول القرآن	٤٥
١- تعريف أسباب نزول القرآن	٤٥
٢- صيغ ورود أسباب النزول	٤٦
٣- طرق معرفة أسباب النزول	٤٧
٤- فوائد معرفة أسباب النزول	٤٧
٥- مسائل متعلقة بموضوع أسباب النزول	٤٨
١- العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب	٤٨
٢- تعدد الروايات في أسباب النزول	٤٩
٦- أهم المؤلفات في أسباب النزول	٥١
المبحث الرابع: المكي والمدني	٥٢
١- تعريف المكي والمدني	٥٢
٢- خصائص المكي والمدني	٥٢
٣- الضوابط الأسلوبية للسور المكية والمدنية	٥٣
٤- طرق معرفة المكي والمدني	٥٤
٥- الآيات المكية في السور المدنية والآيات المدنية في السور المكية	٥٥

٦- فوائد معرفة المكي والمدني	٥٥
٧- أهم المؤلفات في المكي والمدني	٥٦
الفصل الرابع: تدوين القرآن الكريم	٥٧
المبحث الأول: تدوين القرآن في زمن النبي ﷺ	٥٨
١- الأمر بكتابة القرآن في زمن النبي ﷺ	٥٩
٢- الصحابة الذين حفظوا القرآن في زمن النبي ﷺ	٥٩
٣- كُتَّابُ الوحي	٦٠
٤- الحكمة في عدم جمع القرآن في مصحف في زمن النبي ﷺ	٦١
٥- تواتر نقل القرآن حفظًا وكتابة	٦٢
المبحث الثاني: جمع القرآن في الصحف في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه	٦٣
١- دواعي جمع القرآن في خلافة الصديق	٦٣
٢- كيفية جمع القرآن في خلافة الصدِّيق	٦٣
٣- أهمية جمع القرآن في خلافة الصدِّيق	٦٤
المبحث الثالث: كتابة المصاحف في خلافة عثمان رضي الله عنه	٦٥
١- دواعي كتابة المصاحف في خلافة عثمان	٦٥
٢- كيفية كتابة المصاحف في خلافة عثمان	٦٦
٣- موقف الصحابة من كتابة المصاحف	٦٦
٤- أهمية كتابة المصاحف في خلافة عثمان	٦٨
٥- خصائص كتابة المصاحف في خلافة عثمان	٦٨
٦- موازنة بين جمع القرآن في العهد النبوي وعهدي الصديق وعثمان	٦٩
المبحث الرابع: تطور شكل المصحف	٧١
١- علم رسم المصحف	٧٢

٢- علم النقط والشكل أو علم الضبط	٧٢
٣- علم العدد القرآني	٧٥
٤- فواتح السور وأسماؤها	٧٥
٥- علامات الوقف والابتداء	٧٦
٦- المصحف الشريف في عصر الطباعة	٧٧
الفصل الخامس: الأحرف السبعة، والقراءات القرآنية	٨١
المبحث الأول: الأحرف السبعة، ومعناها	٨٢
١- معنى الحرف لغة واصطلاحًا	٨٢
٢- الأدلة على ثبوت الأحرف السبعة	٨٢
٣- أشهر الأقوال في معنى الأحرف السبعة	٨٣
٤- الأحرف السبعة وعلاقتها بالمصحف العثماني	٨٥
المبحث الثاني: نشأة القراءات القرآنية وعلاقتها بالأحرف السبعة	٨٧
المطلب الأول: رواية القراءات قبل عصر ابن مجاهد	٨٧
المطلب الثاني: رواية القراءات بعد عصر ابن مجاهد	٨٩
المبحث الثالث: علم التجويد، وعلاقته بالقراءات القرآنية	٩٠
الفصل السادس: تفسير القرآن الكريم، والعلوم المتعلقة به	٩٣
المبحث الأول: معنى التفسير والتأويل	٩٤
المبحث الثاني: نشأة علم التفسير وتطور التأليف فيه	٩٦
المطلب الأول: التفسير بالمأثور، والتفسير بالراي	٩٦
المطلب الثاني: أشهر مناهج المفسرين، وأحسن طرق التفسير	٩٨
أولاً: أشهر مناهج المفسرين	٩٨
ثانيًا: أحسن طرق التفسير	٩٩

المطلب الثالث: التفسير في العصر الحديث	١٠٠
المبحث الثالث: العلوم المعلقة بعلم التفسير	١٠٢
المطلب الأول: المحكم والمتشابه	١٠٢
المطلب الثاني: النسخ في القرآن الكريم	١٠٧
١- تعريف النسخ في اللغة والاصطلاح	١٠٧
٢- أدلة ثبوت النسخ	١٠٨
٣- ما يقع فيه النسخ	١٠٨
٤- أهمية معرفة الناسخ والمنسوخ	١٠٨
٥- نماذج من الآيات المتفق على نسخها، والمختلف فيها	١٠٩
٦- أهم المؤلفات في الناسخ والمنسوخ في القرآن	١١١
المطلب الثالث: تدبر القرآن الكريم	١١٢
١- تعريف تدبر القرآن	١١٢
٢- أهمية تدبر القرآن	١١٣
٣- أركان تدبر القرآن	١١٤
٤- ثمرات تدبر القرآن	١١٥
٥- الصوارف والحجب عن تدبر القرآن	١١٦
المطلب الرابع: قصص القرآن الكريم	١١٧
١- المراد بقصص القرآن وأنواعه	١١٧
٢- خصائص القصة في القرآن	١١٨
٣- فوائد القصة القرآنية	١١٩
٤- تكرار القصة في القرآن وفوائده	١١٩
٥- أثر القصص القرآنية في التربية	١٢٠

٦- أهم المؤلفات في القصص القرآني	١٢١
المطلب الخامس: إعجاز القرآن الكريم	١٢٢
١- تعريف الإعجاز والمعجزة والفرق بينهما	١٢٢
٢- موازنة بين معجزة القرآن ومعجزات الأنبياء السابقين	١٢٣
٣- الأدلة على ثبوت الإعجاز	١٢٤
٤- أوجه إعجاز القرآن الكريم	١٢٥
٥- اتجاهات الدارسين المحدثين في بيان وجوه إعجاز القرآن	١٢٦
٦- أهم المصنفات في إعجاز القرآن	١٢٧
المطلب السادس: ترجمة القرآن الكريم	١٢٨
١- مفهوم الترجمة، ومشكلاتها	١٢٨
٢- أنواع الترجمة	١٢٩
٣- ترجمة معاني القرآن الكريم وصعوباتها	١٢٩
٤- شروط الترجمة	١٣٠
٥- أفضل ترجمات معاني القرآن	١٣١
خاتمة	١٣٣
مصادر الكتاب	١٣٥
موضوعات الكتاب	١٣٧